التعذيب في مصر يمارس بشكل ممنهج

في تقاريرها التي كانت تصدرها طوال عقود تواجد «مبارك» على رأس السلطة بمصر، كانت «لجنة مناهضة التعذيب» في «الأمم المتحدة» تشير في تقاريرها الدورية إلى أن: «التعذيب في مصر يمارس بشكل ممنهج، وأنه سياسة دولة».

لذا جريمة التعذيب في كافة المواثيق الدولية لا تسقط بالتقادم، والإسلام والأديان السماوية بشكل عام كرمت الإنسان، وارتقت به إلى أحسن تقويم، وبالتالي عندما ينحط هذا الإنسان المكرم إلى درجة يفعل فيها بأخيه الإنسان، ما لم تفعله الطيور والحيوانات ببعضها، هنا يتوجب علينا كمسلمين وغير مسلمين بل وبشر أن ننتفض وتتصدي لمن يهدرون كرامة الإنسان، ويقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، متجاهلين قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾.

ومصر «مبارك» احتضنت نوع من عناصر الأمن فيما كان يعرف بـ«أمن الدولة»، هذا النوع من «حثالة البشر».. حيث أنهم تجردوا من كل معاني الكرامة والرجولة والشرف، وتحول هذا الصنف من البشر إلى كائنات حية مجردة من كل الأحاسيس وتقوى الله.

بل وبلغ الأمر بهم للسخرية من القران وآياته.. ودهسه بالأحذية وحرقه في بعض الأحيان، إنه الإجرام في أقذر صوره، ومما يجعل المرء يشعر بمرارة في حلقه أنه خلال العقد الماضي فتح جيل من أولادنا وبناتنا عينيه على الحياة ليعيش واقع لا يرى فيه إلا طابورًا خامسًا من وسائل إعلام إن كانت تنطق بالعربية لكن هواها يميل نحو تمويل غريب يملى عليها ما تنطق به وما تتحدث به وما تعبر عنه وما تكتبه.

وهـذا الإعـلام يتجاهل كل تلك الجرائـم التي ارتكبها مبـارك وعصابته، ولذلك أشفقت على صغار يتصورون أن ما نقوله نوع من الخيال، غير مصدقين أن مصر عاشت لفترة امتدت لأكثر من ثلاثون عامًا تحت هذا التعذيب.

وأتذكـر في الشـهور الأخيرة من حكم مبارك كانت مباحـث «أمن الدولة» تعذب الشباب المتدين، وعندما يلفظون أرواحهم، تلقي بهم في النيل والترع والمصارف وتدعي غرقهـم، أنهـا فترة سـوداء في تاريخ مـصر المعاصر... وحسـبنا الله ونعـم الوكيل في كل مصري لا يشعر بمعاناة ضحايا الوطن.

والمذهـل أن أحـد الأبناء قال لنا لماذا لم يبلغوا النيابـة وقتها، وهو لا يعلم أن النيابة أصـدرت عـشرات الأحكام لـكل معتقل بالإفـراج لكـن الداخلية كانـت تتحايل علي القانـون وتضرب بأوامر النيابة عرض الحائط، وتواصل اعتقال هؤلاء الشـباب، وأيضًا مـن يـردد هذا القول لا يعلم أن النائب العام أمامه آلاف البلاغات التي تقدم بها ضحايا تلك الجرائم.

وهنا انتقل لشـهادة موثقة أدلي بها الكاتب الإسـلامي المعـروف الزميل والصديق عامر عبد المنعم، أدلى بها في حينها، ومنذ ١٩ عامًا حيث تم اعتقاله بتهمة الانتماء للجماعة الإسـلامية وإيداعه مع أعضاء فيها بسـجون مبارك، وأتذكر أننا كصحفيين بذلنا جهودًا جبارة لإطلاقه..

ولولا إنه كان يعمل بالصحافة، وفي جريدة قوية ومعروفة مثل جريدة «الشعب»، والتي اهتمت به لما كان قد رأى النور ثانية، وظل في المعتقل مع رفاقه.. المهم بعد معايشته المعتقلين ثلاثين يومًا، في عام ١٩٩٢م، خرج عامر من المعتقل وأدلى بشـهادته عما يحدث من جرائم بحق أعضاء الجماعات الإسـلامية والشـباب الطاهر المتدين «الشـهادة كاملة بباب «توثيق جرائم مبارك» على الموقع».

وفيما يلي نسوق عدة وقائع تتعلق بجرائم ارتكبتها عناصر تنتمي لجهاز مباحث «أمن الدولة» بحق أبناء شعبنا عنها يقول عامر: «حاتم الضوي» من مدينة قوص بقنا، معتقل منذ ثمانية أشهر تعرض لأساليب مبتكرة من التعذيب أتركه يرويها لنعرف كيف تحول الشباب الإسلامي إلى حقل تجارب لأباطرة التعذيب.

يقول حاتم: في اعتقالي السابق وبمجرد القبض عليّ تعرضت لأساليب تعذيب قمة في الشراسة..علقوني من يدي وأمسك أحدهم برجل كرسي وبدأ يضربني على مؤخرة العمود الفقري حتى تهشمت الفقرات القطنية، عصبوا عيني بقطعة قماش مبللة بالماء، ثم وصلوها بالتيار الكهربي.. صعقوني في أماكن حساسة كنت عاري الجسد تمامًا أتلوى كالذبيح.. الآلام رهيبة لم يتركوني إلا بعد أن تحولت إلى جثة هامدة.

أسفر هذا التعذيب عن إصابتي بشلل نصفي بعد تهشم الفقرات القطنية ولم أستطع الحركة بعدها لمدة ٤ أشهر، وتسبب الصعق عن طريق قطعة القماش المبللة في إصابتي بصداع نصفي وضعف الإبصار مازلت حتى الآن أشعر بآلامه.

وأضاف بالقول: «في يوم جاءت أنباء ونحن في المعتقل عن مصرع شاب من «الجماعة الإسلامية» تحت التعذيب بلاظوغلي واسمه «محمود جهمي سعداوي» حيث أضربنا كمعتقلون أسبوعًا كاملًا احتجاجًا على تعذيبه حتى الموت».

ويقول: «بحثت عن أي من زملائه الذين كانوا يعذبون معه، وبعد كثير سؤال عثرت على أحدهم.. رجاني ألا أذكر أسمه.. وروى لي ما حدث من تعذيب للمرحوم محمود فقال «محمود جهمي سعداوي»: كانوا يعذبونه بشراسة طلبوا منه أن يدلهم على بعض المطلوبين في قضية مقتل ضابط مباحث أمن الدولة بالفيوم..كانوا يعلقونه على الباب بالساعات.

واستخدموا معه كل أنواع التعذيب، وكان في الأيام الأخيرة منهار تمامًا كان يطلب شربة الماء رجاهم أن يشرب كانوا يأتون بجركن مياه مثلجة ويضعونه على فمه ثم يبعدونه بدأ صوته يتضاءل في إحدى المرات دخلوا عليه وضربوه بالعصا.

وأضاف الشاهد: «تركته على هذه الحالة إلى أن ذهبت إلى السجن وبعد يومين جاءنا في السجن نبأ وفاته وأن الشرطة سلمته لأهله ولم يدفنوه في الخفاء كما دفنوا غيره، فكم من أسرة فقدت ابنها ولا تدري حتى اليوم أين هو ويعيشون بين نارين.. لا هم يستدلون على مكانه ولا يصدقون أنه مات».

أما قاسم سيد قاسم من إمبابة معتقل منذ ثلاثين شهرًا أثناء أداء امتحانات البكالوريوس بهندسة القاهرة، يروي «قاسم» حكايته مع الاعتقال منذ عامين ونصف يقول: «أثناء أداء الامتحان اعتقلوني وكان المتبقي ٤ مواد، تهمتي أنني إمام أحد المساجد بإمبابة، طلبوا مني أن أعطيهم أسماء الأفراد الذين يصلون خلفي فرفضت كانوا يستدعونني قبل كل مادة للضغط عليّ، حتى انتهت الامتحانات.

واستخدموا معي كل الأساليب المعروفة وفي النهاية قالوا لي لن تخرج من السجن ستعتقل مدى الحياة حصلت على العديد من أحكام الإفراج ومن كثرتها نسيت عددها ومع كل إفراج يتم ترحيلي إلى أمن الدولة بضعة أيام ثم أعود.

وفي الفترة الأخيرة ساوموني على الخروج على أن ألزم بيتي وأقطع صلتي بالعمل الإسلامي فرفضت.. وعرضوا عليّ أن أخرج وأترك مصر في خلال ٢٤ ساعة فرفضت.. فقالوا لي: لن تخرج أبدًا».

«قاسم» هو العائل الوحيد لأمه وشقيقاته البنات ووالدة متوفى، والمعاش الذي يحصلون عليه لا يكفي متطلبات الحياة، ولذلك فهو كان يعمل خلال الإجازة ليوفر بعض المال ليعين به الأسرة على تكاليف العيش».

وفي توثيقه لتلك الجرائم قال عامر: «إذا كان تعذيب الإنسان أي إنسان يدمي قلوبنا فما بالكم إذا كان هذا الإنسان امرأة لا ذنب لها إلا أنها زوجة أو شقيقة أو أُم لأحد المعتقلين، هذه الجريمة التي تعتبر بحق عارًا على جبين من يحكموننا.

في السجن بحثت عن المعتقلين الذين عذبت زوجاتهم وأمهاتهم وشقيقاتهم، ولأن هذا الموضوع يتعلق بالأعراض فقليل من المعتقلين الذين يوافقون على الحديث في هذا الموضوع.

وحكى لي «محمد سالم» المعتقل من الإسكندرية عن تعذيب شقيقته الصغرى قبل القبض عليه لتدل على مكانه.

حيث يقول «سالم»: «عندما فشلوا في القبض علي احتجزوا والدتي ووالدي وشقيقتي.. وأطفئوا السجائر في وجه شقيقي عذبوا أختي الصغرى كانوا يدوسون على بطنها بأقدامهم!! أمام أبي وأمي، وبعد القبض عليّ أتوا بوالدتي في قسم «المنتزه» وهددوني باغتصابها جنسيًّا».

ويضيف «محمد سالم»: «إن تعذيب النساء أصبح ظاهرة في الإسكندرية، فكل أخ لا يجدونه يأخذون أهله.. فقد احتجزوا من قبل زوجة «صابر بدر حسن» عدة أيام، ووالدة «منتصر الشنتلي»، وشقيقة «أمين شبل» وزوجة «عبد الستار محمد عبد الستار» وجلدوها.

وثمة حطام بشرية في سجن استقبال مزرعة طرة - والكلام لعامر- تلك الحطام لـ«محمد عبد الله المهدي» الطالب بالمعهد الفني الصناعي بالمطرية، والمعتقل من أكتوبر ١٩٩٠.

ويقول محمد: «عذبوني لأدلهم على الأماكن التي يبيت فيها بعض المطلوبين.. (مئات المطلوبين) لا يبيتون في منازلهم، الحملات الليلية على المنازل لا تعثر على شيء فكانت وسيلتهم الوحيدة للقبض على أي مطلوب اعتقال العشرات وتعذيبهم ليدل كل منهم على من يعرفه.. التعذيب بشع وجنوني.

حيث علقوني من ذراعي من الخلف ولطول المدة خلعت ذراعاي بعد أن تمزقت عضلات الكتفين.. كانوا يطفئون السجائر في صدري وظهري.. ضربوني بالشوم على قدمي حتى تورمت.. كنت أصاب بإغماء فكانوا يصبون عليّ الماء البارد.. غبت عن الوعي عدة مرات.. كلما تورمت قدماي كانوا يأمرونني أن أجري؛ وأتنطط حتى يتدفق الدم في العروق. لم أشعر أنني إنسان كنت عار الجسد معصوب العينين».

وما نقص شهادات لانهاية لها، حول جرائم ضد الإنسانية وضد كل مصر حر، جرائم تغضب الله ورسوله، ولابد من القصاص من مرتكبيها لتندمل الجراح، وبداية القصاص هو شنق مبارك وحبيب العادلي ورجالهم قتلة الثوار، وبث عمليات الشنق علي الهواء مباشرة، ليكون لذوي العقول من أبناء شعبنا في القصاص حياة، بعدها نبحث ونفتش في كل شبر من ارض مصر عن كل ضابط ارتكب جريمة لا تسقط بالتقادم.

(منقول عن موقع محيط بقلم صلاح بديوي)

حفلات اغتصاب جماعي لمعتقلي الجماعة الإسلامية في سجن الوادي الجديد

هذه شهادة مفزعة، صاحبها محمد محمود سامي الذي قضي ١٧ عامًا كاملة رهن الاعتقال، قابلته على مقهي في وسط البلد، كان يتحدث بحماس، لكنه حماس لم يستطع أن يخفي المرارة الشديدة في صوته ونظرات عينيه، سجل ما جري أمامه في سجن الوادي الجديد. لم يحك لي ما جري، كان قد كتبه بالفعل، وأنقل لكم هنا ما كتبه نصا، يقول محمد محمود سامي: «من أين أبدأ وفظائع الرئيس المخلوع لا قرار لها، هل أبدأ من برنامج غسيل المخ الذي مورس لا على المعتقلين السياسيين فقط، بل على جموع الأمة؟.. أم أبدأ من أساطير صناعة الأعداء الذين هم في حقيقتهم ضمير الأمة ومنطقه الكامن، ولأننا متدينون في صميمنا رغم ما يبدو على السطح من مظاهر خادعة فإنني سأبدأ من ممارسة للنظام البائد تهين جميع مقدسات الأمة في جملة واحدة». هذه الجملة يلخصها سامي في أنها: «الاغتصاب الجماعي للمعتقلين السياسيين في سجن الوادي الجديد العمومي»، ولأن الجملة خارقة بالفعل، فقد فصل صاحبها ما أجمله فيها. يقول: «في مارس سنة ١٩٩٥ وفي بداية برنامج غسيل المخ المكثف الذي تعرض له المعتقلون السياسيون، كانت الجملة التكتيكية القذرة من جملة قاذورات لا تقل عنها، إلا أن لهذه الجملة من مساس بالمقدسات، فإنني سأعرضها عليكم ملتمسًا أن تسامحوني على حكاية هذه القاذورات التي لا يدعوني لحكايتها إلا المحاسبة للجاني والمحاكمة لأدواته».

الآن يمكن أن تقرأوا ما يمكن أن يفزعكم، ويجعلكم تفقدون أي تعاطف مع الرئيس مبارك، هذا إذا كنتم تتعاطفون معه، يقول محمد سامي: «في مارس سنة ١٩٩٥، في سجن الوادي الجديد العمومي، وما تلبس به الجهاز الأمني البوليسي الذي هو أداة الإرهاب التي كان الرئيس المخلوع يكسر بها عيوننا ويمرغ بها رؤوسنا في التراب. كنا في

المعتقل وكلنا من المعتقلين السياسيين الذين لا تهمة لهم، بل أكثرنا قبض عليه بديلًا عن أخ أو ابن أو جار أو شريك في عمل تجاري، وكان المعتقل قطعة من جهنم، لا ملابس غير قطعة واحدة وهي «الشورت»، ولا طعام إلا بعض حبات الفول أو العدس مع طبق من الأرز لكل ١٥ معتقلًا، يلقى ذلك الطعام على الأرض ونؤمر بأكله بأفواهنا من على الأرض مباشرة بلا طبق أو إناء، وكنا نجبر على تنظيف الأرض بألسنتنا. هذا بالإضافة إلى وصلات مكررة من الضرب بكافة الوسائل والبطش المجنون، والمعتقلون عراة إلا من شورت، ويتأجج الأمر بتسمية أنفسهم بأسماء الإناث (راقصات غالبًا) كما هي عادتهم في هذا المعتقل القذر، لكن في هذه المرة اكتفو بأن يسمي نفسه بأسماء الإناث نصف الزانزنة فقط، وأمروا الآخرين بذكر أسمائهم التي تعبر عما خلقهم الله من ذكورة، ثم أمروا المعتقلين بأن يرددوا وراءهم نشيدًا قذرًا وهو: «مكسوفة منك.. مش قادرة أقولك.. بلاش الليلادي». بعد وصلة من الإنشاد كانت فيها العصي التي في أيدي الضباط والأمناء تهتك أعراض المعتقلين المنهكين والمدمرين ماديًّا ونفسيًّا، أعلن أحد الضباط ما جاءوا من أجله هذه المرة، وهو أن يحتفلوا بحفلات زواج بين المعتقلين وبعضهم. وقبل إدراك معنى الكلام انهال الضرب القاسي الوحشي المجنون مرة أخرى على عظام المعتقلين، وبعد وصلة الضرب اختار أحد الضباط معتقلين، واحدًا من كلا الفريقين اللذين قسماهما، وكن محطمين للوقوف والتنظيم ورفع الأيدي، وذلك من السابعة صباحًا إلى الرابعة عصرًا منذ وصولنا إلى مقر «محاكم التفتيش»، وكانوا قد عزلونا عن جميع العالم، بلا أي نوع من الاتصال بالعالم الخارجي، فكنا في قبر على الحقيقة. كل هذا وغيره أدى إلى نوع من قهر النفس الواعية والإرادة لمعظم المعتقلين الذين تسلط عليهم وسواس قهري بأنهم في ضياع بلا أدنى حماية، وقد رأوا بعضهم يضرب حتى الموت، كان هذا الجو العام وروح الجماعة المسيطرة على المعتقلين هو أن فريسة وقعت في مخالب الذئاب لا يدفعها دافع.

هنا كانت الجملة التكتيكية القذرة التي صنع له نظام الرئيس المخلوع البيئة النفسية اللازمة كم هو مدروس في كتب غسيل المخ وبرامجه، مجموعة مكثفة من الضباط وأمناء الشرطة بضجة وجلبة وقد أمسك كل منهم بعصا غليظة، يقتحمون الزنزانة وقد وقف جميع أفراده ووجوههم إلى الحائط رافعين أيديهم يمشون في أماكنهم (خطوة تنظيم)، وقد أغلقوا أعينهم وفق الأوامر، وتنهال العصي الغليظة على العظام بوحشية، وقد عزلوا كلا الفريقين (فريق الإناث بزعمهم وفريق الذكور). وقال الضابط بصوت كالفحيح إن فلان سيتزوج بفلانة، وكان هذا الإعلان بمثابة إشارة للبدء في هجوم وحشي بالعصي على هاتين الضحيتين مركزين الضرب على عظامهم، وأمروهما بنزع «الشورت» وأن يبدأ الدُّخلة أي الممارسة الجنسية، ولما حاولوا الامتناع انهال الضرب الوحشي مرة أخرى إلى أن رضخا للأمر، وقد جاء أمناء الشرطة بالماء والصابون لتسهيل العملية، ووقف الضباط يصفون المباشرة الجنسية كالمعلقين الرياضيين واصفين ما يحدث بأنه فيلم جنسي. أمر الضابط بأن تستمر المباشرة إلى أن يحدث إنزال، وفي أثناء ذلك أخرج بعض الأمناء أعضاءهم آمرين صغار السن من المعتقلين بالإمساك بها ووضعها في أفواههم. لقد توقف محمد محمود سامي عن الشهادة إلى هذا الحد لأنه عجز بالفعل عن أن يكمل، وكيف له أن يكمل والأمر تجاوز التعذيب إلى إهدار الكرامة وتحطيم الروح، لكنه يؤكد أن هذا الأمر الذي حدث في زنزانته وحدها في خمس حالات، وقد تكرر في زنازين أخرى، فما حدث في زنزانته لم يكن الأول ولم يكن الأخير أيضًا.

لماذا كتب محمد محمود سامي هذه الشهادة؟

يقول: «هذه شهادتي لواقعة رفضتها وقتها كل الرفض، ونالني ما أشرفت على الموت وتم العزل في حجرة للتأديب حيث تركيز العذاب المنظم، وهذه الشهادة ليست لغرض استعراض ما حدث من أدوات الرئيس المخلوع في برنامجه مع المعتقلين

السياسيين، وإنما فقط لبيان ما كان عليه سيادة الرئيس المخلوع من نذالة وخسة توجبان التحقيق والمحاكمة والجزاء على جناية في حق المواطنين».

إن محمد سامي يعتبر شهادته تلك دعوة للمطالبة بتشكيل لجنة من رموز الأمة كلجنة تحقيق مستقلة تحقق فيما حدث في المعتقلات لرد الكرامة والشرف والاعتبار بالقصاص من الرئيس المخلوع وأدواته. قد يكون ما يطالب به محمد محمود سامي أمر طبيعيًّا جدًّا، وسيكون من الطبيعي أيضًا أن يكون هناك اهتمام من مؤسسات المجتمع السياسية والقانونية والمدنية حتى يحصل المظلومون علي حقوقهم، وهي حقوق ليست مادية فقط، ولكنه حقوق معنوية أيضًا. إن هناك حالة من الحشد يقوم بها محمد محمود سامي الآن، يدعو من خلالها كل من تعرض لأي انتهاك من أي نوع في سجون مبارك أن يظهر ويسجل شهادته، فهذه الشهادات جميع ستكون دليل إدانة نظام سحق مواطنيه حتى النهاية، وأعتقد أن هذه الشهادات لو تم تجميعها، ولو قام أصحابها بالوقوف يدًّا واحدة، فإنهم حتم سيناولون حقوقهم كاملة.

لقد وضع عبود الزمر خريطة الطريق للانتقام من النظام في رسالة وجهها إلى جموع المعتقلين، جاء فيها على لسانه: «إن مرحلة القهر والتعذيب التي تعرض لها المسجونون والمعتقلون السياسيون كفيلة بوضع رموز النظام في قفص الاتهام كمجرمي الحرب، يحاكمون علانية أمام المجتمع الدولي ويلقون ما يستحقونه من مصير جزاء وفاقًا، وإن إشارة البدء أوشكت ان تعطى حين تتهيأ الفرصة ليتقدم الآلاف بالشكاوى لجهات التحقيق ليرووا حقيقة ما جرى لهم وما شاهدوه».

لقد طالب الزمر آلاف المظلومين بأن يتقدموا بشكاوى إلى جهات التحقيق، وكان ذلك في عهد الرئيس مبارك، ووقتها كان حبيب العادلي قابض على الأمور، وقد تردد

الكثيرون في أن يتقدموا ببلاغات، أما الآن فقد زالت دولة الرعب، وهو ما يمكن أن يشجع من ظلم على أن يقتص ممن ظلمه.

(مجلة الفجر/ كتبه: محمد الباز السبت، مارس ٢٦، ٢٠١١)

obeikandl.com

جزاء من يساعد أهل المعتقل

حينما أتحدث عن المظالم التي يعانيها الشباب المعتقل بلا جريمة لا أقصد التبكيت ولكنها الذكري، فذكر إنما أنت مذكر، فذكر إن نفعت الذكرى، وقد يذكر الطفل كهلًا ويذكر الجاهل عالمًا، ولا خير فينا إن لم نقلها ولا خير في أهل الحكم إن لم يسمعوها، فإنها أمانة أبلغها ولا ألوي على شيء، سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله، غير أني أتوخى العدل في مسئول يقرأ مقالتي فيصوب ما قد تأتي به التقارير وما أحمد زكي الذي اشرت له في مقالي السابق إلا مثال صارخ علي الجور والظلم والعنف، وكما ورد في الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار، تحرم على كل قريب هين لين سهل**». قلت أستوزر نفسي اعمالا للخير الذي أخبرت عنه السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن رسول الله قال: «**إذا أراد الله بالأمير خيرًا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه**» فأردت أن أنقل شكاوي المعتقلين وآهات المعذبين، أردت أن أبين لأهل الحكم الذين ربما إن نسوا لم يجدوا من يذكرهم ممن حولهم وإن ذكروا لم يجدوا من يعينهم، فكثير ممن في بلاط الحكم موظفون بيروقراطيون يفتقدون الموهبة السياسية أو القدرة على اتخاذ القرار، أردت أن أبين لهم مظالم تحدث من تابعيهم، ومظالم تقع كل يوم مع إشراقة كل نهار وإطلالة كل غروب في السجون والمعتقلات ليس لها في كتاب الله بينة.. كما أنه ليس لها في الدستور أو القانون برهان.

وليعلم من يقرأ هذا من أهل الحكم أني أبلغ لوجه الله الكريم اقصد الخير وابتغيه واستثير في القلوب الرحمة، فلله تعالى مائة رحمة منها رحمة يتراحم بها الخلق بينهم.. فارحموا تُرحموا واغفروا يُغفر لكم وويل لأقماع القول الذين يصرون وهم مستكبرون.

واعلم أيها المسئول الذي تحتبس هؤلاء المعتقلين المظلومين أن الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله فلا تحرم نفسك من ثمرة ذلك وأقل عثرة ألاف الارامل

والمساكين والأطفال الذين حرموا من آبائهم أو أزواجهم في السجون والمعتقلات المصرية، واعلم ثانيا أن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله غمام يجيبها الله ولو بعد حين فلا تحمل نفسك أوزار تابعيك ممن قد يسيئون تقدير المعلومات والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحذر من ولي شيئًا من أمر المسلمين أتي به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم فإن كان محسنًا نجا، وإن كان مسيئًا انحرف به الجسر فهوى فيه سبعين خريفًا.

اسمع مني أيها المسئول واحدة من هذه المظالم لشاب لم يكد يتخرج من كلية الهندسة العام الماضي اسمه محمد سيد قرشي حضر درسًا من دروس العلم لداعية ربما لا ترغب مؤسسة الأمن في إلقائه دروسا، استدعاه ضابط صغير في مباحث أمن الدولة وبخه وعنفه وأغلظ له في القول، كل هذا جائز لئلا يعود لفعلته مرة أخرى وهو شاب يافع في مستهل حياته، ولئلا يذهب للمعتقل فيستشعر الظلم والحقد والكره للمعتقل، ويخالط من هم في مثل هذه الحال، ومضى الضابط يطلب من الشاب إبلاغه بتقارير دورية عن كل ما يجري ويدور فامتنع الشاب في براءة تلك ليست صنعتي!! إنما أعدك ألا أعود لهذا مرة أخرى ودلف محمد قرشي غياهب السجن حتى وقت الناس هذا، والغريب أن والد الشاب ذهب باكيًا لاهثًا دامعًا خلف الضابط يعده أنه وأسرته كلها سينفذون التعليمات ويرصدون دبة النملة ويعملوا عن طيب خاطر في جهاز مباحث أمن الدولة متطوعين.. فقط يعيد لهم وديعتهم ابنهم الشاب الذي تخرج قبيل أيام لكن لم تشفع تلك الدموع والرجاءات، والأغرب أن الداعية مازال طليقا ينتقل ويعظ الناس في البيوت أو المساجد.

تقضي أمه ليلها كسيرة محطمة باكية، تدعو الله ودعوتها لا بد مستجابة، وكم من الأمهات يدعون الله في الليل البهيم والله يمد للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

أتـرون هذا الشـاب وأمثاله كثيرون يخرجون بعد هذه السـنين التـي أمضوها ظلمًا وبين جنبيهم أي احترام للقانون، نريد أن نعرف سببًا معقولًا لاستمرار اعتقال الصحفي عبد المنعم جمال الدين بلا إدانة منذ عام ١٩٩٢ حتى تاريخه!!

توجد ثلة من الشباب داخل غياهب السجون والمعتقلات اختطفوا من دولة عربية شـقيقة على سـند وشـايات تتحدث عن إمدادهم لأسر المعتقلين بالمـال والصدقة، جيئ بهـم من حيث يعملون ويتكسـبون بغربتهم في ظل ظروف اقتصادية قاسـية، وقدموا في أغلالهم إلى نيابة أمن الدولة التي حققت ودققت فلم تجد هؤلاء ارتكبوا جرمًا، أو تورطوا في نشـاط محظـور أو تنظيـم مأثوم، وأن جل ما نسـب إليهم لو صـح صدقات وزكوات يرسـلونها لصغار وزوجات حرموا من عائلهـم فأطلقت النيابة سراحهم وعفت عنهم، لكن من بيده ملء قرارات الاعتقال سـودها بأسـماء محمد أحمد عبد الحليم وعبد السـتار هاشم ومحمد اليوسفي وأرسلهم إلى حيث أصبحوا هم في حاجة إلى إعانة اعتقال، دمرت معيشـتهم وكسدت تجارتهم وبارت بضاعتهم، كل هذا بناء على تحريات مزاجية لا تقوم على سند صحيح أو مصلحة حقيقية ويتحدثون عن العنف والتطرف أسبابها ومبرراتها، ويطلبون من الشباب التوبة. إن كل من تسبب في هذه المظالم والخروقات مطالب بالتوبة من الله ثم من أبناء الوطن ولله في خلقه شؤون.

(بقلم الأستاذ منتصر الزيات تاريخ النشر: ٢٠٠٥/١٠/٢٢)

حسان وشاح الفلسطيني...
رسالتي إلى مبارك أن لكل ظالم نهاية

المعتقل الفسلطيني المحرر حسان يوسف حسان وشاح، من سكان مخيم البريج وسط قطاع غزة، يبلغ من العمر ٢٧ عامًا، متزوج وأب لطفل واحد، يعود لبلدة بيت عفة المحتلة عام١٩٤٨، اعتقلته السلطات المصرية بتاريخ ١٣/ ١٠/ ٢٠٠٧، أثناء تنقله من مصر لجانب الكيان الصهيوني بهدف تنفيذ عملية فدائية، وتعرض خلال فترة التحقيق التي استمرت لمدة أربعة شهور إلى شتى أنواع التعذيب والشبح، وحكمت عليه المحكمة العسكرية المصرية بالسجن لمدة ١٠ سنوات، قضى منها ثلاث سنوات ونصف وفي خضم الأحداث والثورة التي تمر بها مصر، ويقودها الشعب المصري ضد النظام الحاكم العميل، بهدف إسقاط حكم حسني مبارك، ومن أبرز أحداث الثورة المصرية اقتحام الثائرين لسجن أبو زعبل السياسي، الذي يضم بين طياته آلاف المساجين السياسيين، وجرى الإفراج عن جميع المعتقلين، وكان منهم حسان وشاح، وذلك يوم السبت ٢٩/ ١/ ٢٠١٠.

وبعد الإفراج عن المعتقل حسان وشاح من السجون المصرية، أجرى مراسل فلسطين الآن حوارًا خاصًّا معه، اطلع من خلاله على أوضاع الأسرى الفلسطينيين داخل السجون المصرية، وإليكم نص الحوار بالتفصيل:

اعتقال وتعذيب:

وحول حادثة اعتقاله من قبل الجيش المصري تحدث المحرر وشاح بقوله: «كنت متجه إلى مصر بهدف التهرب إلى داخل أراضينا لمحتلة عام ١٩٤٨ لتنفيذ عملية فدائية ضد الاحتلال الصهيوني، وأثناء محاولتي التسلل تم القبض عليَّ من قبل الجيش المصري، بتاريخ ١٣/ ١٠/ ٢٠٠٧، وتم عرضي على المخابرات المصرية وجهاز أمن الدولة، وتم التحقيق معي لمدة أربعة شهور متواصلة في سجن تحقيق العريش».

ويضيف: «تعرضت خلال شهور التحقيق الأربعة إلى أقسى أنواع التعذيب وحشية وقذارة من (شبح، واستخدام للكهرباء، وإهانات متواصلة، وأدوات وحشية لا يمكن تخيلها) وبعد ذلك حكمت علي المحكمة العسكرية المصرية بالسجن لمدة ١٠ سنوات، بتهمة حيازة متفجرات، قضيت منها ثلاث سنوات ونصف».

ثورة وتحرير

وعن آلية الإفراج عني من سجن أبو زعبل تحدث وشاح: «بعدما تفاقمت الثورة المصرية، وتضاعفت حدتها في معظم المحافظات المصرية وخصوصا في القاهرة، اقتحم الأهالي سجن أبو زعبل الذي كنت أتواجد فيه، واشتبكوا مع الشرطة التي تحرس السجن، وسقط عدد من القتلى والجرحى، وتم فتح باب السجون لنا وخرجت من سجن أبو زعبل الوحشي، وذلك يوم السبت ٢٩/ ١/ ٢٠١١، وبفضل الله تسهلت لي السبل للوصول إلى قطاع غزة حيث أهلي وأحبابي، وذلك فجر الأحد ٣٠/ ١/ ٢٠١١».

ويتابع: «أجمل لحظة أعيشها في حياتي فور لقائي بأهلي وأحبابي، وخصوصا بعد السجن ثلاث سنوات ونصف في سجن الظالم حسني مبارك، ولله الحمد والمنة على هذا الكرم، وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن».

لكل ظالم نهاية:

ويصر المحرر حسان وشاح على إيصال رسالة إلى الظالم حسني مبارك والحزب الحاكم بقوله: «لكل ظالم نهاية، وسينول حسني مبارك نهايته المرة التي لم يكن يتوقعها، فالظلم والجبروت الذي مارسه مبارك طوال ٣٠ سنة سيجلب الويلات الكبيرة عليه، وأسأل الله أن يوفق الشعب المصري في ثورته، وسيكون مواجهة بيني وبين مبارك يوم القيامة، حيث سأحاجه أمام الله ولن يضيع حق كفل به رب العباد».

(شبكة فلسطيني للحوار ٢٠١١/٢/٨)

شهادة دكتور بيلوجي على التعذيب

وهذه شهادة من «دكتور هشام السيد مصيلحي عبد الله» وهو حاصل على الدكتوراه في العلوم البيولوجية والكيميائية وعمل رئيسًا للمعمل الجنائي وقسم المساعدات الفنية لفرع التحريات إدارة الشرطة العسكرية لمدة أكثر من ٦ سنوات حصل خلالها على دورات وفرق راقية نادرًا ما يحصل عليها ضابط جيش وكانت بوزارة الداخلية المصرية وكان معظمها بامتياز وكان ترتيبه الثاني دائمًا لأن الداخلية لا تسمح أن يكون الأول عليها من الجيش، وذلك غير دورات وفرق القوات المسلحة المصرية، وخلال هذه الفترة كان يسافر إلى عمله بالتحريات من بنها إلى القاهرة.

نحن أمام عالم يعكف في معمله على بحوث بيولوجية وهو في الوقت نفسه ضابط يعمل في إدارة الشرطة العسكرية. يقول: «بدأت قصة اعتقالي أثناء عودتي من عملي وأنا بالقطار، حدث خلاف بيني وبين ضابط بوليس (علمت بعد ذلك إنه أمن دولة) على أولوية الجلوس على الكرسي لازدحام القطار يومها وبالرغم من الحجز مسبقًا وتطور الخلاف حتى نزلنا في محطة بنها ولم أشعر بنفسي إلا وأنا في مستشفى المعادي للقوات المسلحة وذلك بعد حوالي يومين أو ثلاثة حسب ما قيل لي بالمستشفى بعد أن عادت لي بعض ذاكرتي (وكان تقرير المستشفى وهو موجود ويمكن طلبه من المستشفى للاطلاع عليه أنني تعرضت للضرب الشديد على منطقة الرأس مما سبب لي شلل هيستيري وفقدان للذاكرة مؤقت) وظللت بالمستشفى أكثر من شهر للعلاج وخرجت لقضاء عيد الأضحى ببيتي وأنا على قوة المستشفى (إجازة مرضية) ثم عدت للمستشفى لاستكمال العلاج ثم خرجت في إجازات متعددة حتى فوجئت بقرار طردي من الخدمة وعدم ترقيتي لرتبة المقدم التي كان يجب أن أترقى لها منذ ستة أشهر وتم سحب الشقة التي خصصت لي بالفعل مني وكنت قد سددت أقساطها ولم يبقى إلا بعض الأقساط وأخفى

أهلي عني كل ذلك بسبب حالتي الصحية، وما أن تم فصلي وأصبحت لست على قوة القوات المسلحة، وكنت مازلت في حالة إعياء ولكن أخرجوني من المستشفى، وفوجئت يوم ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٠م وفي الساعة ٢ فجرًا بقوة من القوات الخاصة والأمن المركزي لم أشهد لها مثيل أنا وأهلي وجيراني تحيط بالمنطقة كلها وبالعمارة التي أقيم فيها ودق باب شقتي بعنف مع كسره ودخلت قوة من مباحث أمن الدولة وقالوا لي إنهم مخابرات وقلبوا الشقة رأسًا على عقب (ووالله لم يجدوا شيء مخالفًا للقانون يمكن أن يستخدموه ضدي) فأخذوا شريط فيديو ورسالة الماجستير والدكتوراه واقتادوني داخل سيارة وبعد خروجنا من حدود بنها تم تعصيب عيني ووضع القيود في يدي من الخلف ووصلنا إلى مكان في القاهرة (عرفت بعد ذلك أنه لاظوغلي بمبنى وزارة الداخلية) وبمجرد وصولي تم خلع ملابسي تمامًا وبدأت رحلة التعذيب، وكانت أول الكلمات لي مع الضرب أنت هاتعمل لنا فيها ضابط جيش يا..... (أقذر الكلمات) لازم تعرف إن احنا الدولة يا ابن..... (أقذر السباب) وظلوا يعذبونني بوضع الكهرباء في الأماكن الحساسة وأنا معصوب العينين ومكبلًا بالقيود ونائمًا على الأرض الباردة مع إلقاء الماء البارد على جسدي وعاودني الشلل الهيستيري مرة أخرى حتى أنهم كانوا يضطروا لحملي كلما أرادوا التحقيق معي وفعلًا كدت أموت بين أيديهم وكانوا يتهمونني أنني على علاقة بمجموعة جهادية من المعادي منهم أطباء ومهندسين (وعرفت بعد ذلك وأنا في المعتقل أن هؤلاء بحكم سكنهم في المعادي كانوا أصدقاء دراسة ابتدائي وإعدادي لأيمن الظواهري) وقلت لهم أنا من بنها وهؤلاء من المعادي ولا علاقة لي بهم ولكن هيهات هيهات أن يستمعوا لي وظلوا يعذبونني ولا رحمة لحالتي الصحية حتى أنقذني قدوم عيد الأضحى (مارس ٢٠٠٠م) فتركوني في أحد القبور الحديدية الباردة المظلمة وذهبوا لقضاء العيد، ثم تم عرضي على نيابة أمن الدولة وكانت التهم هي محاولة قلب نظام الحكم وتصنيع قنبلة بيولوجية لإمداد الجماعات الإسلامية بها.

(المصدر: مقالة لجمال البنا -المصري اليوم ٩ديسمبر ٢٠١٢)

طبيب يروي رحلة تعذيبه في جحيم أمن الدولة

تحسست نفسي لكي أتأكد من آثار التعذيب... هذا ما فعلته بعدما قرأت علي صدور الصفحات الأولي بالصحف تأكيد العادلي وزير الداخلية السابق عدم وجود تعذيب في السجون والمعتقلات.

بهذه الكلمات بدأ الدكتور إيهاب العياشي حديثه وهو طبيب أسنان من بورسعيد اقترب من العقد الرابع، وهو ليس شاهدا، بل جرب وذاق ألوان وفنون التعذيب قرابة أربع سنوات، والسبب: سفره للخارج لمحاولة التصدي لغزو العراق.. والتهمة: الإعداد ومحاولة قلب نظام الحكم من الخارج!!

ارتجف صوته واهتزت مشاعره وكأن زلزالا ضرب وجدانه.. ثم تماسك وقال يجب محاسبة ومعاقبة كل العاملين بأجهزة أمن الدولة.. كلهم متورطون ومتواطئون مع النظام وزرعوا الإرهاب لحمايته.. ويؤكد أن من أسباب نجاح الثورة انشغال الأمن بالاخوان والجماعات الإسلامية.

البداية الأولى: كان المفتي قد أصدر فتوى بأن الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة إذا اغتصب شبرا من أراضي المسلمين.. وذلك بعد غزو العراق.

يقول الدكتور إيهاب العياشي: قررت مثل الكثيرين الغيورين على دينهم، السفر إلى العراق للجهاد، فسافرت إلى سوريا وهناك خاطبت سفارة العراق ولكن بالمصادفة كان نظام صدام حسين قد سقط في اليوم نفسه، فعدت إلى القاهرة فورًا. وعند عودتي حجز أمن مطار القاهرة جواز سفري لمدة نصف ساعة تقريبًا وعدت إلى بلدتي.

البداية الثانية: بعد ستة أشهر عام ٢٠٠٣ كنت أنوي السفر لرحلة عمرة، فاحتجزني الأمن بالمطار بحجة أن زوجتي رفعت ضدي دعوي نفقة، ثم برروا أن هناك

تشابه أسماء، واقتادوني من المطار إلى جهاز مباحث أمن الدولة بمدينة نصر، وهناك قاموا بسب الشرطي المرافق لي لأنه لم يعصب عيني.

بدأ السب والضرب بعد التفتيش وتجريدي من ملابسي بالكامل، حتى الأماكن الحساسة لم تسلم من التفتيش.. فقلت أنا طبيب ما الذي فعلته، فردوا: انس إنك طبيب!

التعذيب:

بدأ التعذيب كالعادة في اليوم الثاني.. بالتجريد من ملابسي بالكامل والتعليق على باب حديد من الأيدي والأرجل وهي مرفوعة عن الأرض بحيث يكون الحمل على الأيدي فقط، ثم الصعق بالكهرباء في الأماكن الحساسة، واستمر التعذيب والتحقيقات يوميًّا لأكثر من شهر، ثم تلاه شهران آخران.

ثلاثة أشهر مرت وأنا معصوب العينين، لا أرى من يقومون بتعذيبي، ولكن من خلال الأصوات أستطيع أن أتبين أنهم٧ أو ٨ ضباط، وجميعهم يتبارى إلى التفنن في التعذيب وأي ضابط يتهاون في القيام بالمهمة يكون مصيره مثل المعتقلين حتى يكون عبرة للآخرين!

لا يزال صدى أصوات المعذبين في أذني حتى الآن، وهم كثرة من مختلف الفئات، فمنهم أساتذة جامعات خاصة الأزهر وكان معي في التوقيت نفسه أبو عمر المصري بعد أن خطفته المخابرات الأمريكية في إيطاليا ثم سلمته للسلطات المصرية.

عصابة العينين تركت جرحًا شديدًا على أنفي، وكنت أحاول تحريكها من حين لآخر، ولكن كنت أخاف من العاقبة وهي زيادة التعذيب، ولكن أحد الضباط بعدما رآني أعاني من ذلك نصحني بالصبر حتى يتم ترحيلي إلى زنزانة.. وهي أرحم من التعذيب.

النيابة:

فترة التعذيب المتواصل لثلاثة أشهر كانت كفيلة بأن تدفع أي إنسان للاعتراف بأي شيء، فقبل عرضي على نيابة أمن الدولة العليا طوارئ قالوا لي بالنص: ياروح أمك أوعى تفتكر إن هذه النيابة عادية.. لازم تثبت الأقوال المنسوبة إليك وتعترف بها، وإلا ستعود للتعذيب مرة أخرى.. فاللجوء إلى الاعتراف أرحم أيضًا من التعذيب.

وأمام رئيس النيابة وهو يعلم من أين جئت وآثار التعذيب بادية على جسدي، طلبت محاميًا.. فنظر إلى شذر، وعلى الفور رفضت المحامي!! لأنني أدركت أيضًا أنني سأعود للتعذيب مرة أخرى.

تم الحكم عليَّ لمدة سنتين بتهمة السفر والإعداد لقلب نظام الحكم من الخارج، وكان جهاز أمن الدولة قد اعتقل أكثر من ١٦ شخصًا من أقاربي ومعارفي خلال فترة اعتقالي، واتهموني بتزعمهم، ثم تم إخلاء سبيلي وتبرئتي من هذه التهمة، وبدأ تجديد الاعتقال مرة أخرى لمدة عام وثمانية أشهر متتالية، الإفراج صباحًا، ثم الاعتقال مساء في اليوم نفسه ٧ أو٨ مرات الاعتقال التي مررت بها.

الطب الشرعي: طلبت العرض على الطب الشرعي، ولكن للأسف هم أيضًا جزء من المنظومة التي تحمي النظام، أشرت إليهم بآثار التعذيب في أنحاء جسدي حتى الأعضاء الحساسة، ولكن لا مبالاة، ولا أدري هل أثبتوا ذلك أم لا، فالمعتقل يرفع طلبًا مطلقاً (بدون ذكر أسماء) الضباط طبعًا، ثم بعد ذلك لا يجرؤ أي محام على تسلم تقرير الطب الشرعي.

بعد سنة من خروجي من السجن، تم استدعائي لمواجهتي مع شخص اسمه تامر إبراهيم أبو عمر، وهل توجد أي علاقة معه، وأنكر تامر واستمر تعذيبه إلى أن شلت يده، والغريب أن من كان يعذبه، يساعده أيضًا في قضاء حاجته بالحمام، وقدم والده

بلاغًا للنائب العام وتم حفظه، ثم عالجوه في الجهاز إلى أن شفي وخرج وأعادوا اعتقاله أكثر من مرة. ولا أدري أين هو الآن.

١٧ سنة كان من رفقائي في ليمان طرة شيخ كبير، كانت كل تهمته أنه قال لمبارك في أثناء تأدية عمرة قبل ١٧ سنة: «اتق الله واحكم بالشرع»، فأحضره الأمن من السعودية إلى القاهرة، ووجهوا له أكثر من تهمة. ولمدة ١٧ سنة ظلوا يقولون له: «موضوعك مع الرئيس نفسه».

يرى الدكتور إيهاب العياشي بعد تجربته مع منظومة أمن الدولة أن كل من يخرج منها إما متشددون، أو مجندون لحسابهم، فهناك من يريد أن يعيش، ومن يريد أن ينتقم، ويأمل في محاكمة كل القائمين على تلك المنظومة والعاملين فيها، ولابد من إلغاء فرع التطرف الديني وتقوم لجنة من الأزهر بالتحقيق في تلك القضايا، فلو كان النظام عادلا من البداية، فلن يكون هناك أي ظلم أو إرهاب للأبرياء، فالنظام هو الذي صنع الإرهاب.

المصدر: جريدة الأهرام ٩ مارس ٢٠١١ ملحق شباب التحرير

المرأة التي تمت محاكمتها عسكريًا في عهد مبارك

جيهان عبد المجيد سيدة في العقد الرابع من عمرها ليس هناك ما يميزها عن باقي السيدات خاصة وأن النقاب الأسود يخفي جميع ملامح وجهها الذي مازال يحمل بقايا شباب وتعاسة وطن.

ولكن ما يميزها هو رقم ٢٣٥ فهذا رقم قضيتها وهو الرقم الكودي لها في ملفات أمن الدولة التي قامت بخطفها من شقتها المتواضعة في شمال القاهرة دون ذنب اقترفته، فالمصريين مجرد أرقام وملفات عند جهاز أمن الدولة.

لم تكمل جيهان تعلميها الثانوي حيث نهج التيار الجهادي الذي لا يجد ضرورة لتعليم المرأة وأن مصيرها لبيتها وزجها وفي عام ١٩٩٠ زفت إلى زوجها أبو العلا عبد الله الذي كان يغيب عنها بالأيام والأسابيع وبعد عامين وتحديدا في عام ١٩٩٢ قبض عليه في قضية اغتيال الكاتب فرج فودة وحكم عليه بالمؤبد.

بقيت جيهان في منزلها وحيدة إلا أن أمن الدولة أبى إلا يتركها وحدها ففي عام ١٩٩٤ قاموا باعتقالها ومعها ١٤ سيدة وذلك في مقر أمن الدولة بلاظوغلي (هو مقر جهاز أمن الدولة بالقاهرة) وهو من أشرس أماكن التحقيق والذي حاول متظاهرون اقتحامه مساء الأحد.

وداخل الجهاز تعرضت جيهان بحسب حديثها لموقع الدستور الأصلي -لشتى أنواع التعذيب، تقول: «تعرضت للتعذيب والصعق بالكهرباء والسب والقذف والضرب المبرح على يد زبانية الجهاز إلا أن الله سترني كانوا ينزعون النقاب عن وجهي عنوة ويمنعوني من الصلاة ويحرقون كتاب الله ليعذبونا بذلك»، وتضيف «كانوا يمنعوني من الصلاة والاستحمام والطهارة وظللت على هذا الحال لمدة ٤ سنوات كاملة أرحل

لسجن القناطر وأمكث به نوما علي البلاط ومنع من الطعام ومعاملة في منتهي السوء وأعود كل ٣ شهور لأقضي ٢٨ يوم في مقر لاظوغلي وسط التعذيب والإهانة وكذلك منع أهلي من زيارتي، ورغم قيام أسرتي بتقديم تظلمات للنائب العام للإفراج عني إلا أن الداخلية كانت لا تنفذ أحكام الإفراج.

وفي عام ١٩٩٧ أي بعد أربعة أعوام من الاعتقال تم تحويلها لمحكمة عسكرية لمحاكمتها بتهمة «الإيواء والتستر علي مرتكبي ما يعرف بقضية تفجير البنوك والتي قام بها مجموعة من تنظيم الجهاد وكذلك حيازة أسلحة»وحكم عليها بـ ١٥ عام سجن، لتصبح بذلك جيهان السيدة الأولى التي يحكم عليها بالقضاء العسكري في عهد مبارك خاصة وأن القضاء العسكري لا يمكن الطعن عليه.

الأعوام التي قضتها جيهان وما تعرضت له من تعذيب كان سبب في حرمانها من الأطفال، ولم يكتف جهاز أمن الدولة ونظام الرئيس السابق بذلك بل قام بمحاكمة زوجها وهو في محبسه بتهم أخرى لتصل مدة عقوبته لـ٥٢ عامًا.

وتنهي جيهان قصتها التي ترويها لأول مرة قائلة: هذه هي المرة الأولى التي أتمكن فيها من رواية قصتي وذلك بعد زوال النظام الظالم.

جيهان هي أحد المصريين الذي تعرضوا لانتهاكات أمن الدولة وتعذيبه واضطهاده فهناك غيرها الملايين الذين ذاقوا وليلات هذا الجهاز هذا بخلاف من قتل بداخله ولم يعرف عنه شيء وغيرهم ممن فقدوا عقولهم بقوة التعذيب.

(المصدر: موقع الدستور الأصلي)

التعذيب الوحشي في سجون المخلوع

في عام ٩٨ دخل المعتقل علينا في المعتقل شاب يبلغ من العمر ٢٤ سنة.اعتقل لأن أخيه الأكبر كان عضوًا في الجماعة الإسلامية واتهم في أحد القضايا ونكاية في الأسرة تم اعتقال الأخ الأصغر أيضًا مع أنه غير منتمي لأي تيار وهو يصلي فقط... هذه الأخ الأصغر كان لديه ولد اسمه إسلام يبلغ من العمر عام واحد وبنت اسمها إيمان تبلغ من العمر ثلاثة أعوام.

أبو إيمان مريض منذ صغره بالسكر ويعيش على حقن الأنسولين..وعند ترحيله من جهاز أمن الدولة بالجيزة -الشهير باسم جابر بن حيان- إلى معتقل دمنهور..تم استقباله كالعادة بحفلة تعذيب رهيبة وتعمد ضباط المعتقل كسر كل الأدوية التي يحملها كما هي عادتهم..دخل أبو إيمان علىّ في الزنزانة الثانية بعنبر ٢..كان عددنا في النزنزانة قرابة الثلاثين معتقل.. كان مذهولًا يرتجف من التعذيب والخوف والقلق... وبعد قليل بدء يتحسس ملابسه ليخرج صوة لأطفاله استطاع إخفائها.. نظر إليها وسكت..حاولنا طمئنته والتهوين عليه.

وفي صباح اليوم التالي طلب منا أن ندبر له حقنة أنسولين.. ولم يكن بوسعنا هذا فطبيب السجن - العميد دكتور أحمد نبيل- أحد كبار المجرمين الذي قتلوا الكثير من الشباب ويكفي أن تذكر اسمه لتسمع عشرات القصص التي تعمد فيها قتل المعتقلين وهو لا يسمح بأي أدوية تدخل للمعتقلين..استخدمنا حيلة فطلبنا من الشاويش أن يخرجه للقاء طبيب السجن لأنه مريض مرض معدي قد يعدي الجميع حتى الشاويش نفسه.

خرج أبو إيمان لمستشفى السجن وعاد بعد دقائق وقد أزرق وجهه من كثر الضرب.. فطبيب السجن المجرم عندما علم بحقيقة الموقف انهال عليه ضربًا ثم رده إلى الزنزانة بلا دواء... حاولنا مرارًا أن ندبر له حقنة أنسولين فلم نفلح.

في اليوم الثاني كانت حالته الصحية تتدهور قررنا أن نتحمل الأذى ونرفض استلام الطعام حتى يحصل على الدواء.. وبالفعل رفضنا وبعد عدة ساعات أغلق المعتقل واقتحمت القوة الضاربة من الأمن المركزي والمباحث وأمن الدولة والكلاب البوليسية علينا الزنزانة وأشبعونا ضربًا وتعذيبًا وصعقًا بالكهرباء.. قررنا أن نستمر للنهاية ورفضنا أن نستلم الطعام حتى تصرف له حقن أنسولين نشتريها نحن بأموالنا المودعة في خزانة السجن.. رفضوا وتركونا بلا طعام وبلا دواء.

كانت حالة «أبو إيمان» تتدهور بشدة وفي الصباح بدء يدخل في غيبوبة.. بمجرد فتح باب الزنزانة لعد المعتقلين في الصباح حملناه ووضعناه خارج الزنزانة وقلنا لهم اقتلونا أو اقتلوه لكننا لن ندعه يموت بيننا... تركوه ملقى على الأرض الباردة ساعات ثم حضر ضابط أمن الدولة وعقد معنا اتفاق... نقبل الطعام وننهي حالة الإضراب مقابل أن يعرض المريض على طبيب السجن ويصرف له الدواء وبالطبع قبلنا.

أتى الجنود وحملوه للطبيب وأدخل الشاويش الطعام للزنزانة.. بعدها بقليل عاد الجنود به هو محمول على أكتافهم كما خرج.. أدخلوه سريعًا وأغلقوا الأبواب وخرجوا... وحين اقتربنا منه كان لا يزال في غيبوبة السكر وكانت رائحة الشواء تفوح من قدمة التي حرقها الطغاة بأعقاب السجائر....

وقبل صلاة العشاء أفاق أبو إيمان من غيبوبته... أفاق وهو يتسأل: ما هذا الظلام؟!.. لقد فقد المسكين بصره.

انهمرت الدموع من عيني وعين إخواني.. أمسكت بصورة طفلته «إيمان» التي كان يتأملها طوال الوقت...حين نظرت إلى ابتسامتها انهرت ووقعت على الأرض.. تمنيت وقتها أن أهديه بصري لينظر به إلى طفلته الجميلة كما كان يفعل دائمًا.

جلسنا طوال الليلة نبكي ونصلي ونتضرع إلى الله تعالى أن يشفيه وييسر له أمر حقنة أنسولين ثمنها بخس لكن يضن الطغاة عليه بها.

وفي الصباح أبلغناهم بما حدث له وظننا أنهم قد يوقفوا هذه المذبحة له.. لكنه لم يحدث.. لم يكن في وسعنا سوى رفض استلام الطعام مرة أخرى.. فلم يأبهوا لنا.. حل الظلام وبدء أبو إيمان يدخل في غيبوبة أخرى... ظللنا نصرخ على الشاويش «أخ بيموت يا شاويش» فكان يجيب بنبرته القاسية..«لما يموت ابقه قولي عشان نرميه في الزبالة».

وفي منتصف الليل كنت أضع وجهي في الحائط ويداي على رأسي أحاول أن أبقى صامد ولساني يلهث «لاحول ولا قوة إلا بالله».

حين صرخ المنادي على الشاويش «الأخ مات يا شاويش».

نعم مات أبو إيمان..وكُتِب على أطفاله أن يعيشوا عمرًا طويلًا في ظلمة اليُتم والحرمان.

انتفضت ونظرت إلى وجهه ولم أرى شيئًا آخر... أفقت وقد غسلوه ووضعوه لنصلي عليه. لا أدري كيف كانت صلاتي لم أستطع أن أفعل شيئًا سوى البكاء والنحيب.

ثم فُتِح بابا العنبر ووجدنا أمامنا عدد هائل من الجنود والضباط بالأسلحة والصواعق الكهربائية...أمرونا أن نتراجع لآخر الزنزانة وندير ظهرنا للباب.. وحذرونا من أي حركة ستقابل بإطلاق الرصاص الحي فتح الباب طرف عين ثم أغلق..سحبوا جثمان الشهيد، واختفوا...

تم تحرير محضر رسمي إنه كان يعاني من أزمة قلبية ونقل لمستشفى السجن وأجريت له كافة الإسعافات والإجراءات الطبية لكن مات بلا تقصير من إدارة السجن.. طلبوا ثلاثة من المعتقلين ليشهدوا بهذا في المحضر فرفضوا.. تم تعذيبهم واقتيدوا إلى عنبر التأديب.. وإغلاق المحضر بشهادة اثنين من المسجونين جنائيًّا في المستشفى على هذا.

هذه قصة واحدة من آلاف القصص التي رأيتها بأم عيني في معتقلات مبارك والعادلي وحسن عبد الرحمن... مبارك الذي يحاكم اليوم.. ليس لأنه قتل أبو إيمان والمئات غيره.. ولكن لأنه حصل على فيلا رشوة... كأننا نحاكم «رئيس حي» أو محافظ مرتشي وليس مجرمًا من أعتى طغاة البشر..

(المصدر: منتدى فرسان الحق)

التعذيب البدني والنفسي وإذلال المعتقلين

كانت سياسة واحدة منهجية لجهاز أمن الدولة في أغلب عهد مبارك وكل سنوات عهد العادلي... «الوفد الأسبوعي» راحت تستمع وتوثق شهادات السياسيين وعدد من المعتقلين في سجون أمن الدولة وفي السجون التابعة لوزارة الداخلية، التي كان يشرف فيها علي عمليات التعذيب ضباط بأمن الدولة أيضًا..

شهادات تسجل وحشية هذا الجهاز، وتجرد ضباطه كثيرًا. من مشاعر الإنسانية فضلًا. عن المواطنة واحترام القانون، بدءًا. من حرق المصاحف وأمر المعتقلين بالسجود للضباط في حفلات تعذيب وحتى رفع النداء وإجبارهم على رفع نداء الأذان بعد استبدال كلمة. «الله أكبر» بـ«مبارك أكبر».

مجدي زكي أحد معتقلي الجماعة الإسلامية بسجن ليمان طرة لمدة ١٨ عامًا. يروي أن أحد الضباط جعله يسجد عند مدخل العنبر أمام صورة للرئيس السابق حسني مبارك ومن كان يرفض يتم ضربه وسحله، مشيرًا إلى أن أشرف إسماعيل ضابط أمن الدولة بالسجن كان يقول للمعتقلين مفيش حاجة اسمها «الله أكبر» فيه «أشرف أكبر» و«أحمد أكبر» مشيرًا لأسماء الضباط بخلاف المعتقلين بأسماء نساء، ويحكى أن «إسماعيل» قام ذات مرة بجمع المصاحف في جوال كبير وأحرقها أمام المعتقلين الذين كان يأمرهم بممارسة العادة السرية أمام زملائهم ومن يرفض يتم الاعتداء عليه جنسيًّا، وقال: إن مدرب حراس المرمى الحالي بالمنتخب القومي أحمد سليمان كان ضابط مباحث السجن في التسعينيات، وكان ذا شخصية سادية مجرمة حيث عذب الكثير من المعتقلين واعتدى عليهم جنسيًّا..

ويروي محمد عبدالوهاب المعتقل السياسي منذ عام ١٩٩٣ قصته مع مباحث أمن الدولة وقصة وفاة شقيقه «محمد» داخل سجن الوادي الجديد، حيث تم اعتقاله مع شقيقه وهو في المرحلة الثانوية بعد أن تعرفا أثناء الدراسة على زملاء كانوا يقومون بعمل مجلة حائط دينية في المدرسة، قائلًا: قامت قوة من مباحث أمن الدولة والقوات الخاصة بمداهمة منزلنا وإلقاء القبض علينا واقتيادنا إلى فرع أمن الدولة بحلوان، وقام الضابط عبدالعاطي شعراوي بالتحقيق معنا باستخدام أحط وسائل التعذيب بداية من الصعق الكهربائي والتعليق والتحرش الجنسي ووضع آلة حادة في الدبر والضرب بالكرابيج والعصي والهراوات والسب والشتم بأفظع الألفاظ والحرمان من النوم وإجبارنا على الوقوف لفترات طويلة جدًّا. حتى تتورم الأقدام، وبعد رحلة طويلة من التعذيب تم إصدار قرار اعتقالنا وترحيلنا إلى سجن الاستقبال ومكثنا فيه عامين وبعدها تم ترحيلنا إلى سجن الوادي الجديد المعروف باسم «بطن الحوت» مؤكدًا أنه تمت تسميته بهذا الاسم لأنه في قلب صحراء مصر وتشرف على إدارته مجموعة من الوحوش والذئاب البشرية..

بعد خمس سنوات مات الشقيق أحمد في زنزانته، بينما قال طبيب المستشفى: إن أحمد توفي نتيجة أزمة قلبية مفاجئة وتم تسليم جثته إلى أهله وما أن رأته والدته حتى سقطت ميتة ليخرج محمد بعد عام من السجن وهو مصاب حالة نفسية سيئة..

عادل أحمد السيد وخالد حسن علي ومحمد زغلول سرور وشريف محمد عبدالعال... تم اعتقالهم في ٢٣ مايو ٢٠٠٣ بمقر أمن الدولة بشبرا بالقليوبية، وكان يرأسه وقتها اللواء عاطف سعد، والذي فاز بمقعد العمال بالتزوير في الانتخابات الأخيرة، يؤكدون أنهم تعرضوا لتعذيب لا يحتمل بأوامر من «سعد» حتى تم نقلهم إلى سجن دمنهور ليلاقوا أنواعًا أخرى من التعذيب بداية من دخول قوات مكافحة الإرهاب بأعداد غفيرة ومعها

العصى الغليظة والكلاب المتوحشة عليهم قبل نقلهم إلى سجن المرج أو مغارة الجبل كما يطلقون عليه، ولقد تمت تسميته بهذا الاسم لأنه مكون من ٢٦ غرفة خرسانية مساحة الغرفة ١١٠× ١٨٠ سنتيمترًا بارتفاع ٢٨٠ سنتيمترًا مبنية بالخرسانة ولا يوجد بها إلا فتحة صغيرة في بابها الحديد المصمت بمساحة ١٠ سنتيمترات مغلقة دائمًا، وبها فتحة أخرى فوق الباب مليئة بالأسلاك والقضبان الحديدية ولا تسمح إلا بدخول البعوض والعنكبوت.. ومن وسائل التعذيب أن هذه الزنازين محاطة بجدران خرسانية تغطي الزنازين بالكامل بحيث لا تدخله أشعة الشمس ولا الهواء نهائيًّا..

الأربعة يروون: الخروج من الزنزانة كان لمرة واحدة صباحًا لمدة خمس دقائق، وأخرى لمدة خمس دقائق بعد العصر لقضاء الحاجة..

ويحكي عادل أن المقدم وليد فاروق ضابط أمن الدولة وزميله الرائد أيمن صلاح كانا لا يقصران في التضييق على المعتقلين وحرمانهم من أبسط الحقوق الآدمية قائلًا: كانوا يعاملوننا كحيوانات..

أحمد محمد مسعد صبح يروي أنه بعد القبض عليه في ٢ مايو ١٩٩٤ واقتياده وسط توسلات أخوته وزوجته معصوب العينين إلى مقر أمن الدولة بالدقهلية، بدأت حفلة تعذيب بشع، حيث تم تجريده من ملابسه مع تعصيب العينين والتكبيل بالحديد من الخلف وطرحه أرضًا، وصعقه بالكهرباء في أماكن حساسة من جسده، مشيرًا إلى أن الضابطين محمود فتحي عز الدين وطاهر محمد الإمام وعددًا من المخبرين يذكر منهم حازم ومحمد قاموا بممارسة جميع أنواع التعذيب معه لمدة ١٨ يومًا حتى تم نقله إلى سجن استقبال طرة من كثرة الإصابات بجسده، وتم وضعه في عنبر أطلقت عليه القيادات الأمنية اسم غير الجماعة الإسلامية مشيرًا إلى أنه رفض الانضمام لدراسة المراجعات ليتم نقله إلى سجن الوادي الجديد وتم وضعه في زنزانة ٧٥ مع ١٥٠ فردًا كانوا يتعرضون

للضرب المتواصل كل يوم... ويروي أن من كان يقوم بضربهم يصيح فيهم: «لا تصرخوا لأن صوتكم يزعج الباشا» ويقول التعيين أو «الطعام» كان يتم وضعه على البلاط لنلحسه بألسنتنا إمعانًا في إذلالنا، وكان من حظنا السيئ أن أرضية الزنزانة منحدرة فكانت شوربة العدس تجري ناحية دورة المياه فنمسكها بأيدينا ونأكله..

ويشير أحمد إلى أن الزيارات النادرة كانت تتم عبر أسلاك شائكة بينها ممر لا يزيد على ١٢٠ سنتيمترًا يمر به عدد من الأفراد لمراقبة حوار المعتقلين مع أهلهم وفجأة يأمر الضباط بضرب المعتقلين أثناء الزيارة لإرهاب الأهالي..

ويضيف: ضابط أمن الدولة محمود عزالدين أبلغ أبي أنه لن يراني مرة أخرى وبالفعل مات أبي من شدة حزنه ولحقته أمي بمرض سرطان الكبد قبل الإفراج عني في عام ٢٠٠٥ ليتم اعتقالي مرة أخرى في سجن تأديب المرج ووضعي في زنزانة ٢٥ وهي عبارة عن قبر محكم كما في زنازين هذا السجن المكون من ٢٦ زنزانة، مشيرًا إلى أنه كان معتقلًا وقتها مع عدد من تنظيم جند الله وبعض السلفية وتعرضوا لأشد أنواع التعذيب حتى تم الإفراج عنه منذ عامين مطالبًا بمحاكمة جميع ضباط التعذيب في عهد العادلي والإفراج عن كافة المعتقلين السياسيين..

(جريدة الوفد الخميس ، ١٠ مارس ٢٠١١)

أبو جهل يعلم أمن الدولة الرحمة والأدب

لقد ضرب أبو جهل المثل لهؤلاء الطغاة، فيروي التاريخ أن أبا جهل عندما أراد قتل النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووقف على بيته هو وشباب قريش ينتظرون خروجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقتله.

قال أحد هؤلاء المشركين: ندخل عليه بيته ونقتله وهو نائم في فراشه.

فقال أبو جهل: ثكلتك أمك هل تريد أن يتحدث العرب ويقولون أن أبا جهل يروع بنات محمد.

انظروا إلى الفرق بين أبي جهل وبين ما تفعله مباحث أمن الدولة اليوم.

ذهب الأشاوس للقبض على الزوج فأجهضوا الزوجة وألقوا بالأم المريضة خارج الشقة، كدروا الزوجة بالوقوف لمدة ساعتين ولم يستجيبوا لتوسلاتها بالجلوس فسقطت مغشيًا عليها.

عندما تستمع إلى هذه الزوجة المسكينة تستطيع أن تفعل أي شيء تواسيها تعدها بتوصيل رسالتها إلى المسؤولين لكنك لا تستطيع أن تمنع نفسك من التأثر من هول ما تحكيه.. وبالرغم أننا سمعنا كثيرًا عن تجاوزات بعض ضباط الشرطة إلا أننا لم نسمع من قبل أن بعضهم قد فقد نخوته -وبالذات مع الحرمات-بهذه الصورة.

المكان: (مدينة كوم حمادة بالبحيرة).

الزمان: ليلة سوداء كالليلة التي لطم فيها أبو جهل أسماء بنت أبي بكر فأطر قرطها (مع الفارق) لأن أبا جهل طلب من مرافقه ألا يخبر أحدًا حتى لا يلحقه العار، أما ضابط أمن الدولة فإنه تفاخر بإيقاع الذل والهوان بهذه الأسرة المنكوبة.

الحدث: الزوج محمد عبد الرحيم الأسود (موجه مالي بالإدارة التعليمية بكوم حمادة ٤٢ سنة) والزوجة (ماجدة محمد الشرقاوي - ربة منزل) باتا ليلتهما كأي زوجان مصريين في مدينة من مدن الأقاليم يحلمان بإشراقة يوم جديد يستطيعان فيه تلبية احتياجات ثلاثة بنات هن كل أبناؤهما ويحلمان باليوم الذي تضع فيه الزوجة حملها الذي مر عليه ثلاثة أشهر إلا أسبوعًا واحدًا وهي نهاية المدة التي حددها طبيب الزوجة.

حتى يضمن الجميع انتهاء مخاطر الحمل الذي ظلت تنتظره لمدة ١٢ عامًا من العلاج والمتابعة. ويحلمان أخيرًا بإرضاء أم الزوج التي أقعدها المرض وأصبحت في شبه غيبوبة.

ونام الزوجان على هذه الأحلام المشروعة ولم يكن يشغلهما شيء آخر كما ينشغل الآخرون أحيانًا فالزوجان متدينان والجميع في مدينتهما يعرفونهما ويحبونهما لطبيعة عمل الزوج وشهرة عائلته ولأخلاق الزوجة ولحبها لمن حولها.

وفي تمام الساعة ٢:٢٠ فجر يوم الاثنين ٢٤/ ٧ انتفض الجميع على أصوات مفزعة كأصوات مدافع تدك حصنًا منيعًا ولم تكن هذه الأصوات بعيدة عنهم بل إنهم متأكدون إنها في نفس البيت الذي يسكنونه... ما الذي يجري ، هذا ما ترويه الزوجة: صحونا جميعًا - زوجي وبناتي- على أصوات تحطيم بوابة البيت وبما أنني ممنوعة من الحركة فقد لزمت الفراش وبعدما استطلع زوجي ما يحدث عاد ليطالبني بالبقاء في سريري وأمر البنات بالدخول معي في نفس الحجرة -ظنًّا منه أنه مجرد اشتباه وسوف ينتهي الموقف إلا أن ما حدث لا يستطيع أن يتخيله عقل فقد فوجئنا بعشرات الجنود المدججين بالأسلحة يدخلون علينا ويحطمون أثاث المنزل ويبعثرون محتويات الدواليب وكأن لا هم لهم إلا الانتقام منا.

وتستطرد الزوجة: ثم دخل عليَّ الضابط -رأفت عبد الباعث- وأمرني بترك الحجرة لتفتيشها فأخبرته بأنني ممنوعة من الحركة وإلا فقدت جنيني الذي أنتظره منذ ١٢ عامًا، فما كان منه سوى تهديدي بالقتل إن لم أخرج وهنا علا صراخ البنات ونحيبهم.

وفي الحجرة الأخرى كانت حماتي (قعيدة وفي شبه غيبوبة) لا تعي شيئًا مما يحدث، فأمر الضابط أيضًا بإخراجها من الشقة ولما أشارت بحاجتها إلى الحمام حملها زوجي يرافقه اثنان يضعان سلاحيهما في جنبيه ولما انتهت من قضاء حاجتها أخرجوها ثانيةً.

في هذا الوقت استعطفت الضابط أن يتركني للتعب الذي حل بي ولخوفي على حملي إلا أنه أصر بعنجهية على إذلالي -على حد قوله- وبقيت واقفة مرغمة حتى انتهوا من (غزوتهم) التي استمرت ساعتين كاملتين وبعدها مباشرة شعرت بمقدمات الإجهاض على جسدي فوقعت مغشيًا عليَّ (انتهى كلام الزوجة).

التقت (آفاق عربية) بشقيق الزوج (حسن محمد الأسود) ليستكمل ما حدث، قال: في أثناء الضجيج الذي حدث هذه الليلة سارع شقيق لنا يسكن في نفس شارع محمد للاطمئنان عليه وعلى والدته فمنعه الضابط بل سبه سبًّا شديدًا وتوعده.

ويضيف حسن: ما حدث لا يمكن السكوت عليه فزوجة شقيقه أجهضت ووالدته أهينت وأخي تم تعذيبه في مقر أمن الدولة بمركز بدر بمديرية التحرير وكسروا أثاث بيته وحصلوا على مئات الكتب من مكتبته وقد تقدمت بناء على ذلك بشكوى إلى نيابة كوم حمادة شرحت فيها كل ما حدث، ونحن في انتظار قرارات النيابة. (انتهى كلام شقيق الزوج).

وانتهت القصة بل المصيبة لم تنتهي آثارها وأرجو أن يتخيل الضابط أن المجني عليها أخته أو زوجته هل كان يسمح لأحد أن يفعل بها مثل ما فعل هو، كما أرجو

أن يتخيل الجميع أن هذه الحادثة سوف تتكرر.. طالما بقيت الأوضاع على ما هي عليه الآن.. من الكذب والظلم وضياع القيم والدين.

آفاق عربية - العدد ٤٧٠ - الخميس ٢٠٠٠/٨/١٠م

إهمال الرعاية الصحية للسجناء السياسيين والسجينات وأطفالهن

إن انتشار الأمراض داخل السجون المصرية علي نحو خطير يهدد الحق في الحياة والسلامة الجسدية والنفسية للسجناء والمعتقلين السياسيين وترجع ظاهرة تردي الأوضاع الصحية للمحتجزين داخل السجون إلى مجموعة من العوامل الرئيسية منها ما يتعلق بسوء الأوضاع المعيشية داخل السجون ونقص التغذية واكتظاظ الزنازين بالسجناء والمعتقلين وانعدام التهوية والتريض وقلة مستوى النظافة، يرتبط بذلك من انتشار بعض الأمراض الوبائية (الدرن -الجرب) داخل معظم السجون وخاصة سجني «الوادي الجديد» و«الفيوم» ومما يساهم في تفاقم تلك الأمراض انخفاض مستوى الرعاية الصحية من قبل أطباء السجناء وخطر دخول الأدوية ومستلزمات العلاج من الخارج أثناء الزيارات.

ومن ضمن العوامل التي تساهم في تفاقم سوء الأوضاع الصحية داخل معظم السجون المصرية قلة عدد الأطباء داخل عيادات السجون وافتقاد تلك العيادات إلى التجهيزات والأدوات الفنية والأدوية الملازمة وكذلك افتقاد معظم مستشفيات السجون للتجهيزات الفنية للتعامل مع الحالات المرضية لجراحة التي تقتضي عناية طبية متخصصة أو تدخل جراحي عاجل.

وتؤكد النزيلات داخل سجن القناطر على انعدام الرعاية الصحية، حيث إنه في حاله مرض أي سجينة تظل مريضة حتى الموت بالإضافة إلى عدم وجود الدواء الكافى، وعدم توافر الرعاية الصحية اللازمة لكل من السجينة الحامل والسجينة الأم، وعدم وجود أي متابعة صحية لهذه السجينات وعدم توافر اللبن اللازم للأطفال داخل السجن، وتؤكد السجينات على انتشار الأمراض داخل السجن مثل أمراض سوء

التغذيـة، وقررت بعض السـجينات وفاة جنـين داخل أمه في الأسـبوع الأول من يونيو ١٩٩٨، ووفاة طفل آخر في شهر يوليو ١٩٩٨ هذا بالإضافة إلى ميلاد توأم ولكنة يعاني من أزمات صحية وحالة ضعف لعدم توافر العناية الصحية والعلاج واللبن اللازم.

وتشـير المعلومات الواردة إلى المركز أن الرعاية للسـجينات داخل سـجن القناطر للنسـاء الأمهـات أو الحوامـل وعددهـم ٤٨ أم وحامـل غـير كافية، وتـكاد تكون غير موجـودة، وهذا مـا ذكرته إحدى الأمهـات في زيارة مندوب المركـز في ٢٢/ ٧/ ١٩٩٨ من أن النزيلة ماجدة شـعبان وهي أم للطفلة نشـوى سـمير السـيد التي تبلغ من العمر ٢٠ يومًـا، وذكرت النزيلة أن عنبر الأمهات والحوامل لا يأخذ الرعاية الصحية الكافية، فعند حدوث أي حالة مرض لم تجد المريضة أي اهتمام، وتقول أن (برشامة الصداع) هي الـدواء لجميع الحـالات، ولا توجد أي متابعة طبية لهؤلاء النزيـلات، بل أنه في حالات المرض القصوى للمرأة للحامل فأنها تؤخذ إلى مبنى المستشفى لمدة يوم واحد ثم تعاد إلى عنبر الأمهات مرة أخرى دون أي متابعة بعد ذلك، أما الأطفال الرضع فلا يحصلن على الرعاية الكافية داخل السجن فلا تتوافر لديهن الملابس الكافية، أو العلاج، أو اللبن، ولا توجد لهن أي رعاية صحية، بل أن النزيلات أكدن على قلة الدواء، والأغذية. ويعتمدن في الأساس على الأطعمة واللبن والأدوية أثناء الزيارات.

وتعاني النزيلات الأمهات والحوامل من التقصير الشديد من جانب أطباء مستشفى سجن القناطر للنساء، وكذلك من عدم توافر العلاج رغم احتياجهن الشديد إلى المتابعة، وانتظام العلاج، واستمراره لمدة كافية حتى تضع الأم حملها، وأثناء زيارة مندوب المركز لاحظت على النزيلات الهزال والضعف العام هذا بمخالفة لأحكام التشريعات الوطنية التي تشـمل العديد من القواعد التـي تتعلق بتوافر الرعاية الصحية الكافية للسـجينات والعلاج والأطعمة..... الخ، وتشير السجينات إلى احتياجهن إلى بعض الأدوية مثل:

١- الجليسرين لعلاج حالات الإمساك للأطفال.

٢- المضاد الحيوي.

٣-علاج حالات الإسهال.

وأشارت النزيلات إلى وجود حالات جفاف باستمرار بين الأطفال مما أدى إلى وفاة طفل في شهر يونيو ١٩٩٨ ظل يعاني من الإسهال حوالي ٢٠ يومًا ولم يعطه طبيب سجن القناطر للنساء إلا دواء عبارة عن ١٢ كيس محلول للجفاف، ثم ساءت حالته بعد ٢٠ يوم من العلاج داخل السجن ثم نقل إلى مستشفى القناطر، ومات بمجرد وصوله إلى المستشفى.

ولقد أكدت السجينات لمندوب المركز على عدم وجود طبيبة متخصصة في أمراض النساء، وعدم وجود طبيب متخصص في أمراض الأطفال، وأن الطبيب المتواجد بالسجن هو ممارس عام.

(المصدر: شبكة أنا المسلم للحوار الإسلامي)

مذكرات خالد حربي في معتقلات مبارك

المهندس خالد حربي هو رئيس المرصد الإسلامي لمقاومة التنصير، ومن مؤسسي ائتلاف التيار الإسلامي العام، وائتلاف دعم المسلمين الجدد الذي يضم العديد من القوى والحركات الإسلامية، قاد جدلًا واسعًا، في مواجهة الكنيسة والنشطاء الأقباط، وهو ما دفع البعض من القساوسة وفي أعقاب أحداث إمبابة الأخيرة إلى تقديم بلاغات ضد حربي ومعه مجموعة من الناشطين في هذا المجال، ويصفه بعض المراقبين بأنه المصري الأول الذي تداهم الشرطة مسكنه في إطار قضية سياسية بعد الثورة، على خلفية أحداث كنيسة إمبابة.

اعتقل حربي يوم ٢١ نوفمبر ٢٠١٠ في عهد الرئيس المخلوع كعادة كل الإسلاميين بدون أي صخب إعلامي أو مطالبات حقوقية بالإفراج عنه، وشارك في أحداث الثورة، ورغم الجدل والهجوم الشديدين من النشطاء الأقباط إلا أنه يرى أنه متمسك بكافة آرائه وعلى رأسها منع الكنيسة من أن تكون دولة داخل الدولة، وأن تخضع للرقابة شأنها شأن كل المؤسسات).

القصة تبدأ في نهاية عام ٢٠١٠ حين كنت عائدًا من سهرة جميلة مع والدي اوقفت السيارة تحت منزلي وحملت طفلتي سهيلة التي رفضت الصعود حتى اشتري لها شيئًا.. بينما حملت زوجتي ابني عمر الذي لم يكمل شهره الأول.. دخلنا المنزل وبعد أقل من خمس دقائق دق جرس الباب..كانت الساعة تقترب من الواحدة ليلًا.... هرولت زوجتي نحو النقاب وعباءة الصلاة..نظرت من عين الباب فوجدت أحدهم يضع يده عليها حتى لا أرى من يقف خارجه..أشرت لزوجتي أن تغلق غرفتها عليها..استعذت بالله وفتحت الباب..فوجدت ما توقعته...عناصر من العمليات الخاصة ومباحث أمن الدولة مدججة بالأسلحة...

أقترب مني الضابط ياسين وسألني: هل يمكنك إغلاق المرصد وإيقافه بحيث لا يظهر لأحد على النت؟

قلت لا.. هذه عملية معقدة تحتاج أكثر من أسبوع لأن سيرفر المرصد في كندا وليس في مصر.

هز رأسه ممتعضًا وقال بلهجة مقتضبة: طيب البس هدومك وتعالى.. دخلت على زوجتي فوجدتها كعادتها تلهث بالذكر وتحاول أن تبعث الطمأنينة في نفسي.. زوجتي الصابرة تربت في منزل والدها الذي كان مرتعًا لأمن الدولة بحيث صارت لا تهتز لإجرامهم.. كانت طفلتي سهيلة التي لم تكمل عامها الثاني تبتسم ظنًّا منها أني خارج وسآخذها معي كما هي عادتي وحين ودعتها وأغلقت الباب خلفي كان صراخها عاليًا يستعطفني أن أعود فأحملها بين ذراعي ونخرج معًا كما تعودت.

حين ركبت إحدى السيارات الثلاثة المشحونة بالعسكر طلب مني قائد فرقة العمليات الخاصة أن أعصب عيني فقلت له بعصبية «لأ» نظر إليَّ ضابط أمن الدولة فابتسم الأخير قائلًا: خالد راجل قديم.

وقفت السيارة أمام مقر أمن الدولة بالمرج وتم تفتيشي واصطحابي للزنزانة التي كانت عبارة عن غرفة كبيرة مقسمة لثلاث غرف صغيرة، وكانت ملحقة بزنازين الجنائيين لا يفصل بينها سوى باب حديدي.

كانت صرخات طفلتي ما تزال تدوي في أذني... الابتسامة المتكلفة على وجه زوجتي وهي تمسك بيدي قائلة «إن شاء الله هترجعلي تاني» كل هذا كان يهز كياني لأني كنت أظن الفراق سيطول بيننا ربما لسنين طويلة... فحين أقدمت على متابعة قضية كاميليا شحاتة ونشرها بين المسلمين اتصل بي ضابط مشهور من جهاز أمن الدولة وطلب مني أن أغلق المرصد وأن أمتنع عن الكلام في هذه القضية حتى بيني وبين نفسي

وحين رفضت هذا قال لي مهددًا: طيب خلي بالك من نفسك.. واحنا هنتحاسب لما الدنيا تهدئ، كنت موقنًا ليلتها أن وقت الحساب قد جاء وأن بكاء طفلتي سيطول وأمنية زوجتي ستتأخر كثيرًا .

كنت كلما اشتدت عليّ المحنة تذكرت قول شيخي وقدوتي الشيخ رفاعي سرور رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين نصحني قائلًا: «حين نعتقد أننا نواجه الصعاب بقدرتنا وطاقتنا سننهار بلا شك.. إنها قدرة الله وإرادته التي تبقينا صامدين وصابرين.. فلا تحمل هم قدرتك على التحمل ولكن اهتم بقدرتك على الاستعانة والاستغاثة والتضرع إلى الله» وتحت ظلال هذه الكلمات العظيمة مرت الليلة الأولى.

في الصباح فتح باب الزنزانة وطلب مني الحارس أن أعصب عيني لأني سأذهب للتحقيق.. وحين دخلت على الضابط ياسين بدا هادئًا غير مكترث بشيء طلب مني أن أقص عليه قصة موقع المرصد وظللنا نتحدث لساعات في أسئلة مملة ومكررة، ثم أعادوني لزنزانتي.. وفي المساء تكرر نفس المشهد... وهكذا لمدة ثلاث أيام اتنقل بين مكاتب التحقيق بلا هدف... وفي الليلة الرابعة اصطحبني الحارس لمكتب التحقيق كنت معصوب العين كالعادة لكني كنت أشعر جيدًا بعدة أشخاص يقفون حولي داخل المكتب.. سألني الضابط قائلًا: كم شخصًا ساعدته في إشهار إسلامه بالأزهر.

قلت: الكثير.. ربما مئات.. قال: هل منهم بنات.. قلت: طبعًا... قال: هل منهنّ أحد من خارج القاهرة، قلت: نعم الكثير.. قال: طيب ماذا تفعل معهم تحديدًا وكيف تتعرف عليهم.. قلت: القصة برسالة تصلني على الهاتف أو على بريد المرصد تطلب المساعدة في إشهار الإسلام بعدها أحدد موعد للقاء الشخص حتى أتيقن من رغبته ودوافعه لإشهار إسلامه فإذا كان بدافع مادي -كقصة حب مثلًا- أدله على الطريق وأرشده للإجراءات لكن لا أسعى معه فيها.. أما إذا كان بدافع الإيمان فأحتمل معه

كل الإجراءات حتى يحصل على شهادة توثيق الإسلام ويستخرج أوراقه الشخصية الجديدة.

بدء التحقيق بغوص في هذه النقطة.. كنت أجاوب بنصف ذهن بينما النصف الباقي يبحث عن المغزى من هذا الكلام حتى كفاني الضابط هذا العناء وسألني عن الأماكن التي أقوم بإيواء المسلمين الجدد فيها.

أدركت ساعتها أن الهدف هو القبض على هؤلاء المساكين وتسليمهم للكنيسة فقلت له أنا لا آوي أحدًا.. أنا أساعد في الإجراءات الرسمية فقط وعلاقتي بهم تنتهي داخل المسجد الأزهر بعد الإشهار مباشرة؟

شعرت بتحركات داخل غرفة التحقيق.. علا صوت الضباط وهو يقول بلغة الواثق: يعني أنت معندكش شقق في أكتوبر لإيواء المسلمين الجدد.. أجبت باستخفاف: «لأ طبعًا».

قال: طيب آخر مرة كنت في الأزهر أمته؟.. قلت: أول أمس.. فطلب مني أذكر له أسماء آخر حالات أشهرت إسلامها.. ظللت أذكر له أسماء وهمية وحالات مشهورة، فقاطعني صارخًا: ومريم ومارينا بتوع المنصورة نستهم ولا إيه يا عم الشيخ؟!

لمعت في ذهني كل الخيوط بمجرد سماعي هذين الاسمين فهاتين الفتاتان من أسرة كبيرة ومهمة وكان قد دعاهما للإسلام إحدى زميلاتهما في الجامعة وعندما قرروا إشهار إسلامهم اتصل بي زوج زميلتهم ثم أحضرهما بسيارته إلى القاهرة لإشهار إسلامهما وعندما سألني بعد الإشهار أين سيقيمون قلت له: في أكتوبر إن شاء الله، وعندما تركنا وعاد مع زوجته للمنصورة استأذنت الفتاتين في سحب هواتفهما ثم قمت بوضع الفتاتين عند بعض أهل الخير في أحد محافظات الصعيد حرصًا على سلامتهما..

أدركت وقتها أن هذه الرجل تم القبض عليه واعترف بكل التفاصيل التي يظنها صحيحة.

قلت للضابط: نعم أحضرهما شخص اسمه أحمد وأشهرت لهما إسلامها وتركتهما بالأزهر... قال الضابط كذاب.. إحنا قبضنا على أحمد وأعترف بكل شيء.. أدركت وقتها إني في موقف خطير.. فأسرة الفتاتين فيها رجال دولة ورجال أعمال وضباط شرطة برتب كبيرة.. وضباط أمن الدولة لن يرجحوا كلامي على اعتراف أحمد وزوجته.

قلت للضابط: اسمع أنا لا أكذب.. أنا بالفعل لا أعلم مكان البنات.. ولكني أقسم لك بالله العظيم أني لو أعلم مكانهما ما أخبرتكم به.. حتى لو قتلتموني لأني لا أتحمل أمام الله تعالى أن أكون سببًا في تسليم مسلمة للكنيسة كما حدث مع كاميليا ووفاء قسطنطين.. هذا ما عندي وافعلوا ما تريدون.

فورًا سمعت جلبة وتحركات بغرفة التحقيق أمسك الحارس بيدي وأخرجني من الغرفة.. بعد دقائق فتح الباب وأمسكني الضباط من رقبتي وقال: «أنا لن أظلمك.. سوف أتركك تقرر مصيرك ومصير زوجتك وأطفالك بنفسك.. وتأكد أن كل المعلومات لدينا، فإذا أصررت على موقفك الحالي لا تلومنّ إلا نفسك» ثم دفعني إلى الحائط ومضي..

ظللت قرابة نصف ساعة أقلب الأمر في رأسي فلم أخرج سوى بنتيجة واحدة: أني سأنفي ثم سأعذب ثم سأعتقل إن ظللت ثابتًا على هذا النفي.. ولا خيار لديَّ في غير هذا.. استرجعت وظللت أردد دعائي الأثير «اللهم أني أبرء من حولي وقوتي إلى حولك وقوتك».

حضر الحارس وصاحبني إلى السلم حيث الطابق الرابع الذي يقبع فيه العقيد هشام توفيق رئيس الفرع وحين دخلت مكتبه كنت أستشعر وجود أشخاص آخرين

بالمكتب ظل رئيس الفرع يحاول إقناعي أن غالبية من يشهر إسلامه ليس صادقًا في هذا ودائمًا ما توجد قصة حب أو مشاكل عائلية خلف هذا القرار وأنا كشاب سوف أظلم نفسي وأظلم أطفالي حين أدخل السجن بسبب تستري على مثل هؤلاء المدّعين.. وأن هذا الملف حساس والكنيسة تستغله لتهديد أمن الوطن وتدخل أمريكا في شئوننا وأن جهاز أمن الدولة لا يوجد به مسيحي واحد فكلمهم ضباط مسلمون ولا يمكن أن يسلموا مسلم أو مسلمة حقيقية إلى الكنيسة...

ظل الرجل يدندن حول هذه المعاني لأكثر من ساعة كنت خلالها قد أدركت أن الأمر جلل، وأني إذا لم أسلم لهم الأخوات فسوف اعتقل بلا شك، وبالتالي قررت أن أكون صريحًا وواضحًا ومباشرًا لأن التعريض والمدارة لن تجدي شيئًا.

قلت له «لا أعتقد أن من مهام الدولة أن تفتش في نوايا من يدخل الإسلام أهو صادق أم كاذب.. هذا فقط من عمل جماعات التكفير.. ثم ما قولكم في المتنصرة نجلاء الإمام صاحبة أفلام البورنو ذات الشعبية المرتفعة على الإنترنت... أو محمد رحومة النصاب الدولي المحكوم عليه بالحبس المؤبد في قضايا نصب واختلاس، أو ماهر الجوهري المريض بالسرقة، وغيرهم من المتنصرين الذي اعتنقوا المسيحية كنوع من الاستثمار وتحسين الدخل، لماذا لم يقم جهاز أمن الدولة بالقبض عليهم وتسليمهم للمسلمين كما يفعل الآن مع الكنيسة والمسلمين الجدد؟

وبخصوص أمريكا فالحقيقة أن هذا الموقف الذي أنا فيه الآن سببه الأساسي هو تدخل أمريكا في شئوننا لأن مصر منذ أكثر من ألف عام والنصارى يعتنقون الإسلام فيها ولم يحدث أن سلّم مسلم للكنيسة سوى في عهدكم الذي صرنا فيها أهم حلفاء أمريكا في المنطقة.

انا أعلم أن الجهاز لا يوجد به ضابط مسيحي لكن هذا الجهاز هو من سلم وفاء قسطنطين وماريا عبد الله زكي وكاميليا شحاتة وتريزا عياد وماريان مكرم وعبير ناجح وكرستين قليني وغيرهنّ العشرات للكنيسة ثم حين تلقيني في السجن بعد كل هذا أكون أنا من ظلم نفسه!!

هنا كان صبر الرجل قد نفذ فصرخ في وجهي «طول عمرك هتفضل....» وأمر الحارس بإرجاعي للزنزانة.

وحين عدت لزنزانتي لم أستطع النوم كنت خائفًا مما توعدوني به وكنت خائفًا أيضًا أن أضعف فأدل على المسلمات الجدد وكنت حزينًا لأني سأبتعد عن أطفالي لسنوات طويلة وربما للأبد.. قمت لأصلي وحين وضعت جبهتي على الأرض انهرت من البكاء وظللت أردد بهستريا «بل عبد يا مولاي..عبد» وهي جملة قائلها بشر الحافي حين كان يقيم في بيته حفلات للمجون فوقف أحد الزهاد ببابه وسأل الجارية:صاحب هذا البيت حر أم عبد؟ فقالت الجارية بل حر.. فرد الزاهد: نعم الحر يفعل ما يشاء ثم مضى.. ودخلت الجارية فأخبرت بشر.. فتفكر في كلام الرجل لبرهة ثم خرج حافيًا من بيته حتى لحق بالزاهد فاسترجعه فأعاد عليه الحوار فبكى بشر وظل يردد «بل عبد يا مولاي عبد» وتاب وحسن إسلامه وصار من العباد الزهاد وكان كلما نازعته نفسه في شيء من الدنيا يتمتم بهذه الكلمات «بل عبد يا مولاي عبد».

لا أدري ليلتها كيف أنهيت صلاتي ولا كيف وأين غلبني النوم لكني استيقظت في الصباح الموعود حيث ينتظرني التحقيق وآلات التعذيب والتنكيل وصراع طويل بين الآلام وبين المعتقد.

حين استيقظت في ذلك الصباح كنت أشعر بمرارة في حلقي ووجع في قلبي مما أنا مقدم عليه.. بدأ القلق يزيد مع الوقت حتى تمنيت أن يفتح الباب ويسحبني الحارس إلى

مكتب التحقيقات حتى ينتهي هذا القلق والتوتر الذي أكابده... ويبدو أن الطغاة كانوا متمرسين في التعامل مع هذه الحالة النفسية التي يمر بها المعتقل فقرروا استثمار الوقت لصالحهم.. تركوني حتى الرابعة عصرًا غارقًا في قلقي وتوتري أحاول التشبث بدعاء الكرب العظيم «لا إلَه إلَّا الله العَظيم الحَليم، لا إله إلَّا الله ربِّ العَرْشِ العظِيم، لا إله إلَّا الله ربِّ السَّماوات وربِّ الأَرضِ ربِّ العَرشِ الكَريم».

وبعد صلاة العصر فتح الباب ودخل الحارس فوضع العصابة على عيني ثم اقتادني إلى التحقيق.. الذي لم يكن المكتب المعتاد بل اقتادني لمكتب آخر لم يسبق لي أن دخلته.. سألته هامسًا: أنا داخل لمين.

فأجاب هامسًا أيضًا: يوسف بيه.

تركني الحارس واقفًا داخل المكتب معصوب العينين لا أسمع شيئًا حولي سوى حفيف قلم يكتب ونحنحة متقطعة تأتي من خلف المكتب، ثم بدء الضباط يتحدثون وهو يقترب مني: يا حاج خالد إحنا عايزين نروحك.. فأجبت سريعًا: ياريت يا افندم.

قال الضباط: تقريبًا المحضر بتاعك خلص فاضل سؤالين فقط جاوب عليهم عشان تروح قبل المغرب.. جاهز؟

فأجبت بنفس السرعة: طبعًا يا افندم.

السؤال الأول: عايزين عناوين الشقق اللي أنت مخصصها للنصارى اللي بيعتنقوا الإسلام؟

والسؤال التاني: عايزين نعرف فين مريم ومارينا؟

كنت أدرك إن إجابتي لن ترضيه لذلك حاولت أن أجعلها أقل حدة وأخف وقعًا عليه تحسبًا لردة فعله المتوقعة.

فقلت: والله يا افندم أنا أحاول ألا أورط نفسي في مشاكل تسبب لي الاعتقال مجددًا أو تحدث أي صدام معكم لذلك دوري يقف دائمًا عن إنهاء الإجراءات القانونية.. ولا أورط نفسي في أكثر من هذا حيث لا تسمح ظروف عملي ولا إمكانياتي بمثل هذا؟

الضابط: يبدو إنك مصمم تشوف الوجه الآخر.. وعلى فكرة مش هيعجبك.

أجبت سريعًا: الوجه الآخر أنا أعرفه جيدًا وجربته مرارًا ولسنوات ولا يوجد عاقل يجلب على نفسه هذا العذاب.

الضابط: طيب أنا هعرض عليك حل أخير.. قل لي على مكان البنات اللي أسلموا وأنا هعتبر أنك مقلتش حاجة... وهكتب أنك فعلًا ملكش دعوة بالموضوع وإن التحريات عندنا هي اللي عرفت مكانهم.. إيه رأيك.. أظن عملت معاك الواجب؟

أجبت: والله يا افندم تشكر... بس فعلًا أنا معرفش عنهم أي حاجة.. آخر مرة شفتهم كان في الأزهر؟

الضابط: طيب تفتكر راحوا فين... فكر معايا.. تعالى نخمن يمكن نلقيهم؟

أجبت: أظنهم قبل ما يقدموا على خطوة زي دي كانوا مرتبين أمورهم كويس.. ممكن يكونوا سافروا مثلًا.

قاطعني قائلًا: طيب مش ممكن يكونوا قعدوا عن أي واحدة من زميلاتهم.. قلت: ممكن طبعًا.

فقاطعني قائلًا: زي مين كده؟

أجبت: حضرتك عارف أنهم من محافظة تانية وأنا شفتهم مرة واحدة لما خلصت إجراءات الإشهار في الأزهر فقط وبعدين أخاف أقول أي حاجة غلط فأظلم حد زي ما أنا مظلوم دلوقتي؟

الضابط: طيب ليه أحمد بيقول أنك مخبي البنتين دول؟

أجبت: أي حد مكانه هيقول كده لأنه خايف على نفسه وخايف على زوجته.. وبعدين حتى لو البنات عنده مفيش مسلم هيرضى يسلم مسلمة للكنيسة عشان يفتنوها في دينها؟

الضابط: بص يا حبيبي سيبك من الكلمتين اللي أنت حافظهم وعمال تغنيهم كل شوية.. أحمد اعترف عليك وإحنا تأكدنا من صدقه وجاب شهود على الكلام ده... وعايز أقولك حاجة الموضوع ده كبير وأنت مش قده وأحسن لك تخلص من المشكلة دي قبل فوات الأوان.. اسمع آخر كلامك منك؟

أجبت: صدقني معرفش مكانهم ولو كـــ....

قاطعني الضابط بالسباب والزعيق وسب الدين متوعدًا بصنوف العذاب والتنكيل ثم إلقائي في المعتقل حتى أتعفن -على حد قوله- ثم نادى على الحارس وأمره أن يحضر أدوات التعذيب كالصاعق الكهربائي والكرباج و«الشواية» وهي عبارة عن عصى يعلق بها المعتقل بعدما تجمع يداه إلى ركبتيه بحيث يصير ثقل جسده كله محمل على معصم يديه في وضع يشبه طرق شوي النعاج قديمًا عند العرب.

أمسك الضابط برأسي بحيث كانت يداه فوق أذنيّ وإبهامه فوق عيني ثم رطم رأسي في الحائط بقوة ثلاث مرات متتالية وتوعدني قائلًا: سأجعلك تكره اليوم الذي ولدت فيه! وأمر الحارس بإخراجي من المكتب وتجريدي من ثيابي كلها حتى يجهز «حفلة» التعذيب.

وعلى باب الغرفة فك الحارس القيد من يديي وخلع عني ملابسي وظل يوسوس في أذني بنبرة شيطان: خلص نفسك.. الباشا إيده تقيلة ولو وقعت تحتها مش هتطلع

سليم.. أنت معندكش عيال ولا إيه.. مش خايف على نفسك خاف على مراتك وعيالك.. اخلص عشان تروح.. اللي اعترف عليك صاحبك يعني التهمة لبساك.. ادخل اعترفله بكل حاجة والباشا هيسامحك.

... ظل الشيطان يهمس في أذني لدقائق ثم انصرف وأحضر أدوات التعذيب وعندما مر بجانبي ضغط على الصاعق الكهربائي فصرخ بفحيح شرير اقشعرَّ له جسدي.. لم تعد قدماي تقويان على حملي... جلست مكاني على الأرض وأنا أحاول السيطرة على أعصابي فلم أفلح.. ظللت ألهث بـ«لا حول ولا قولة إلا بالله» أستقوي بها على ضعفي الشديد فبعد ثواني سيفتح الباب وسأواجه أمورًا صعاب لا طاقة لي بها.. ربما أنهار فأخرج سري فأجمع بين عذاب الدنيا وخزي الآخرة.. حاولت البحث عن عمل خالصًا أتوسل به إلى الله تعالى أن يفرج كربي ففزعت مجددًا لصوت الصاعق الكهربائي.. رفعت وجهي للسماء وقلت «يارب رحمتك أرجى لي من عملي» ظللت أكررها حتى فتح الباب وسحبني الحارس من رأسي وألقى بي في دائرة التعذيب.

كان صراخ الضابط وسبابه المتواصل يصم أذني ويفقدني نصف وعيي.. وضع الحارس القيد في يدي من الخلف ثم ركلني على قدمي فوقعت على الأرض، قيَّد الحارس قدمي بحبل سميك ووضع فوقها كرسي ثقيل جلس عليه الضابط وهو يلوح بالصاعق الكهربائي وقال متهكمًا: أنت بقه -ياروح أمك- حامي حمى الإسلام... ثم غرس الصاعق في بطني.. فارتجفت أوصالي جميعًا وانتفض جسدي بشدة وصرخت بأعلى صوتي «يا رحمَن يا رحمن».

حتى هذه اللحظة التي أكتب فيها هذه الكلمات لا أستطيع أن أجزم بأن الذي حدث بعد هذا كان حقيقة أم كان توهمات... فقد أفقت في قبيل أذان الفجر وأنا ملقى في ممر صغير أمام مكتب التحقيق وأحد الأطباء يعلّق لي المحاليل ويضع المراهم على

جسدي..كان الطبيب متأثرًا بشدة ويحبس الدمع في مقلتيه.. قال لي إن عيادته قريبة من قسم المرج.. مالحق به مبنى أمن الدولة وإنه عادة يرفض المجيء إلى أقسام الشرطة لعلاج المحبوسين لكنه حين علم أنه سيعالج أحد الشيوخ المعذبين في أمن الدولة لم يتردد وحضر على الفور محتسبًا ذلك في سبيل الله.. لم يسعفني حضور الحارس من التمادي معه في الحديث.. كانت بداخلي رغبة شديدة أن أحدثه بما لقيت وأنني أعذب بسبب تستري على فتيات اعتنقنّ الإسلام تريد الدولة إرجاعهنّ للكنيسة مرة أخرى حيث الردة أو القتل.. كنت أبحث عن شخص يبكي لأجلي.. يأسىَ لحالي.. يشاركني الحزن والهمَّ فيهوِّن عليّ.. لكن الظالمون ضنوا عليّ بهذا أيضًا.

انصرف الطبيب.. طلبت من الحارس كوب ماء ففي حلقي مرارة تقتلني.. فأجاب: مينفعش تشرب مياه بعد الكهرباء انتظر ساعتين على الأقل.. خرج ثم عاد مسرعًا ووضع العصابة على عيني مجددًا.. ثم دخل الضابط «يوسف» الذي عذبني وقال ساخرًا: أنت هتستموت من أولها... أجمد يا حبيبي لسه التقيل وراء.. ثم قال للحارس: لبسه هدومه ونزله الحجز يمكن لما يقعد مع نفسه شوية يعقل قبل ما نموته... ووجه حديثه إليّ قائلًا: سبع ساعات فقط يا خالد وهرجعلك عشان نكمل لعب مع بعض «ثم رحل أصابتني لهجته بالغم الشديد أخذت أردد بصوت مسموع «رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا ورسولًا».

حملني الحارس مع رفيقه وألبسني بعض ثيابي ثم قادني إلى زنزانتي.. لم أكن صليت المغرب والعشاء.. عجزت عن الوضوء فتيممت ثم صليت جالسًا.. ثم حاولت أن أتذكر ما حدث فلم أستطع أن أجزم بالحقيقة منه والوهم... هل ظل الضابط يوسف يصعقني بالكهرباء ثم صب على جسدي الماء ليضاعف من شعوري بها.. هل علقني على

«الشـواية» ثم جلد قدمي وسـاقي بالكرباج.. هل صعقني بالكهرباء في أماكن حساسـة من جسدي؟

حقيقـة لا أدري أحدث ذلك حقًّا وشـعرت به أم كانت مجرد توهمات حين فقدت الوعـي.. لكـن معصمي المتقرح الذي مـا يزال ينزف دمًا وتلك المراهـم التي تعالج آثار حروق من الصاعق الكهربائي على أماكن متفرقة من جسـدي كلها تؤكد أن ما حدث لم يكـن وهمًا فجـأة انتبهت لأمر خطير، لهجـة الضابط حين دخل عليّ مؤخرًا تقول إنه لا يزال يبحث عن إجابة!!.. يالله.. هل حدث وتنزل رحمة الله القدير عليّ فحالت بيني وبين الاعتراف بما يريدون؟

يـالله مـا أرحمك حين لم تكلني لنفسي... يالله أنا أحقر كثـيرًا من هذا التودد منك يا من بيده مقاليد السـموات والأرض... ولكن سبحانك...وعزتك وجلالك ما عهدتُ منك إلا الجميل..

انخرطـت في بـكاء ونحيب...بكيـت بـكاء عبد أخذ من رحمـة ربه أكثـر كثيرًا مما يسـتحق.. نسـيت جروحي وحروقي وألمي وظلت تحوم روحي متأملة في واسـع رحمته وعظيم عفوه سبحانه.

في الصباح حين اسـتيقظت كنت على يقين بمعية الله تعالى لي في هذه المحنة.. ليس لإيمان أو صبر فيَّ ولكن رحمة من الله بهاتين الفتاتين وأمثالهما من المساكين الذين تركوا كل شيء وهاجـروا إلى الله تعـالى بدينهم.. هؤلاء الذين صدقـوا البيع مع الله تعالى فصدقهم الله تعالى فحفظهم وحماهم ونصروهم بحُسن جميله عليَّ في هذه المحنة.

لم أكـن مرتعدًا ولا خائفًـا ولا متوترًا كما كنت ليلة أمس قبل التحقيق.. فُتح الباب فوقفت للحارس وأنا أحمل العصابة في يدي.

فقال الحارس: استرح يا شيخ خالد.. أنا جي أشوفك محتاج حاجة ولا لأ.. طلبت منه كوب شاي لأن المساجين الجنائيين في الغرفة المجاورة لا يجدون طريقي لإدخال الشاي إليّ بسبب هذا الباب المصمت بيننا... نادى الحارس على «البرنس» وهو كومندان المساجين الجنائيين وطلب منه أن يحضر عاجلًا لي كوب شاي.. دخل البرنس بعد قليل يحمل كوب الشاي ووضعه في يدي واهتز حين رأى الجروح على معصمي... أشرت إلى كيس به بعض الفاكهة -كانت زوجتي تحضرها لي يوميًّا وتتركها عند الحارس فيدخلها لي- أعطيتها له.. فقال مندهشًا: مقابل ماذا؟ قلت: مقابل أننا إخوة مسلمون وأنت رجل شهم.. ضحك الحارس وقال للبرنس «بلاش انت يا برنس تدخل السكة دي.. ضحكنا جميعًا وعندما انتهيت من شرب الشاي أخذ الحارس الكوب وأعطاه للبرنس وقال لي: «إذا احتجت شيئًا نادي على البرنس وهو سيخبر ضابط الحجز وسأحضر فورًا».

وحين إغلاق الباب أدركت أنه لا تحقيقات اليوم ولا تعذيب وأنهم قلقون من حالتي الصحية اقتربت من الباب وناديت البرنس فاقترب مني قلت له «أريد ان أكلم زوجتي» سكت لبرهة... فقلت له.. يا عم أنا قديم هنا وعارف كل حاجة.. هي الدقيقة معاك بكام؟

قال: الدقيقة هنا بـ ٢ جنيه.. قلت: سأعطيك ثلاثة.. قال: حاضر يا شيخ بس لما الدنيا تهدا... انتظرت حتى التاسعة مساءًا حين خرج أغلب المساجين الجنائيين للعرض على المباحث.. وناديت على البرنس الذي حضر وفي يديه هاتف محمول... أعطيته الرقم فاتصل بزوجتي ثم وضع سماعة الهاتف على ثقب صغير في الباب استطعت منه أن أسمع صوتها وكان هذا قمة سعادتي وراحتي وقتها حيث أزاح عن نفسي كل الهموم والأحزان.. أعطيت البرنس أكثر مما وعدته.. وقبل منتصف الليل دخل الحارس مرة أخرى ليطمئن عليَّ ويعطني جرعة من الدواء.

في ظهيرة اليوم التالي فتح الباب وقادني الحارس إلى مكتب الضابط يوسف الذي استقبلني بالسخرية والتهديد فأجبت عليه نفس الإجابة القديمة فأمر الحارس أن يخرجني ويجردني من ثيابي كما فعل سابقًا.

لم أكن أهتز.. لم أكن خائفًا كما كنت من قبل.. قيّد الحارس يدي بالقيد الحديدي وقدمي بالحبل وألقاني داخل مكتب التحقيقات وظل يوسف يلوح بالصاعق الكهربائي مجددًا صعقني به لسعات خفيفة فقط.. ظل يرغي ويزبد وعندما لم يجد تغيرًا في الموقف قال إنه لن يتعب نفسه مع «عيل ابن....» مثلي وسوف يقوم بترحيلي لمقر الجهاز بمدينة نصر حيث البكاء وصرير الأسنان.. وهناك سوف أعترف أو أموت.. أخرجني من المكتب وبعد دقائق أدخلني وقال: مد يديك.. مدت يدي متوجسًا فوضع سماعة الهاتف فيها وقال كلم الباشا الكبير.

وضعت الهاتف على أذني فلم أسمع شيئًا بسبب ضغط عصابة العين على أذني فرفعها من فوق أذني قليلًا قلت: ألو..فجاءني صوت على الجهة الأخرى يقول: بص يا خالد أنت أعطيت الموضوع أكبر من حجمه، وأنت خايف بسبب تجارب سابقة لك عندنا بس أنا عاوزك تفهم إن الموضوع بسيط.. احنا هنجيب البنات وهنعرف منهم الحقيقة ولو كانوا فعلًا مسلمين احنا اللي هنحميهم ونحرسهم.. وبعدين متخفش أنت موقفك القانوني سليم.

قلت: يا افندم أنا فعلًا قلت كل حاجة أعرفها وأنا فعلًا حاسس بصدق حضرتك وبقولك على الحقيقة.

قال: طيب تفتكر أحمد بيقول عليك كده ليه؟

قلت: أي حد مكانه لازم يقول كده..أكيد خايف على نفسه أو خايف على زوجته.. ممكن يكون البنات عند حد معرفة ومش هينفع يقول على مكانهم عشان ميبهدلش الناس اللي عملت معاه خير؟

قال: طيب أنت تجيلي هنا في الجهاز وأنا هعرف أنطقك إزاي.. أديني يوسف بيه.

أخذ يوسف الهاتف مني ولم يتحدث حتى أخرجني الحارس من المكتب.. دقائق ثم خرج يوسف وقالي لي: أنت اللي جبته لنفسك.. هتروح للباشا الكبير اللي محدش بيخرج من تحت إيده سليم.

حين أنزلني الحارس لزنزانتي كنت شديد القلق والتوتر انتظرت حتى المساء ثم طلبت من البرنس أن يعطيني الهاتف داخل الزنزانة فرفض لأنه سيضطر إلى تفكيكه إلى قطع صغير وقد لا نستطيع تجميع مرة أخرى.. عرضت عليه شراء الهاتف فطلب مبلغ ٢٠٠ جنية أعطيتها له بلا نقاش فقام بتفكيك الهاتف إلى عدة قطع صغيرة وناولني إليها على حدة فقمت بصفها بالترتيب حتى أستطيع جمعها مرة أخرى.. في التجميع الأول لم يعمل الهاتف فأعدت تجميعه مرة أخرى وبعد قرابة ثلاث ساعات نجحت.

وكان أول اتصال أجريته بزوجتي.. تلك المؤمنة الصابرة التي كانت تأتيني كل يوم بالغذاء والدواء فتتركه عند الحارس الذي يدخله لي بعد تفتيشه.. كان صوتها يزيح الهموم والأحزان من صدري ويغسل فؤادي مما لحق به. طلبت منها أن أسمع صوت ابنتي سهيلة وحين سمعتها تصرخ فرحة بي اهتز كياني كله وطفرة دمعة ساخنة فبللت نحري.. طلبت منها أن تدعو لي وتردد خلفي دعاءً أن يرجعني الله إليها سالمًا... ثم قررت ألا اتحدث إليها عبر الهاتف مرة أخرى حين تذكرت أن الشيخ عبد الله عزام رأى طفلته في المنام تداعبه وتمشط لحيته فقام فتفل عن يساره واستعاذ بالله مردداً قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾».

ثـم اتصلت بـالأسرة الكريمة التي كانت تـؤوي المهاجرين بدينهـم.. أخبرتهم بما حدث وطلبت منهم نقل جميع الفتيات إلى مكان غير معلوم لي بحيث إذا ضعفت وأردت الاعتراف بمكان المسـلمين الجدد لا أجد لذلك سـبيلًا... طلبت منهم أيضًا أن يتخذوا احتياطات أمنية تحول دون الوصول إليهم إذا خارت قوتي فأعترف عليهم.. واتفقنا على سيناريو موحد نعترف به إذا تم القبض عليهم... عاهدتهم ألا يحدث ما دمت قادرًا على منعه.

ثم تحدثت إلى شـيخي ومعلمي الشيخ رفاعي سرور رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسمعت منه ما جعله الله سببًا في تجديد عزيمتي وطمأنة قلبي.

وفي مساء اليوم التالي اقتادني الحارس لمكتب التحقيقات حيث كان ينتظرني طبيب قام بالكشف عليَّ دون أن ينطق بكلمة واحدة.

ثـم أدخلـوني إلى غرفـة أخرى بها عـدد من الضبـاط بعضهم قادم مـن الجهاز بدء التحقيـق في هذه الليلة من العشـاء واسـتمر حتـى الثامنة صباحًا تخلله اسـتراحة واحدة لصلاة العشـاء وعدد من الصفعات واللسـعات الكهربائية ومئات الأسـئلة والكثير من التهديد والوعيد ثم افترقنا جميعًا على وعد بليلة أخرى سوداء كما قالوا...

حـين أعطوني مهلة للصلاة تركنـي الحارس في غرفة بجوار الباب الرئيسي بالدور الأول خلعت العصابة عن عيني وصليت العشاء ثم جلست بائسًا محطمًا أنظر من النافذة وفجأة ظهرت زوجتي أمامي تحمل أكياس الطعام وتدخل.. ناديتها فهرولت إلى النافذة مـددت يدي عبر القضبـان فصافحتها..فأكبت على يدي تقبلها وتدعو لي.. كنت في هذا الوقـت أحـوج شيءٍ لهذه اللمسـة الحانية وتلك النظرة العطوفة.. همسـت زوجتي لي أن غدًا مسـاءًا ستُزف «مريم» لزوجها لمعت عيناي ثم اغرورقت بالدموع.. أخبرتني أيضًا أني ألقـى تعاطفًـا كبيرًا من جميـع الإخوة وهناك مقالات وأشـعار وتصميمات كثيرة على

الإنترنت تضامنًا معي.. شعرت برحمة الله الواسعة تربط على قلبي المهتز فزعًا.. كان لقاء زوجتي في تلك الساعة لحظة فارقة.. كانت ثواني قليلة لكن الزمن توقف عندها طويلًا حتى هرول الحارس إلى النافذة فأعاد عقارب الساعة للدوران مرة أخرى وانتهت لحظة مضيئة ما زلت أجد بردها كلما تذكرتها.

وحين اقتادني الحارس مرة أخرى لطغمة الذئاب التي تُحقق معي لم أكن مكترثًا بشيء.

وحين عدت لزنزانتي صباحًا ظللت أبكي بحرقة.. كنت أشعر بحرقة مريرة في صدري... ظللت أشكو إلى الله تعالى «هواني» على الناس..لقد كان يحقق معي اليوم قساوسة وليس ضباط بجهاز أمن الدولة... إنهم أشد كراهية للإسلام من القساوسة.. وأكثر ولاءً للكنيسة من القساوسة.. تذكرت رد الضابط حين قلت له: أترضى أن تكون سببًا في ردة مسلم إلى المسيحية؟ فأجاب ساخرًا «مش أحسن ما يبقا إرهابي ابن..... ويتعبنا معاه».. ساءت حالتي النفسية بعد هذا التحقيق وعزمت على الصدع في وجوه هؤلاء الضباط القساوسة بما يكرهون.. لم أعد أحتمل المدارة معهم.. هناك لوعة في قلبي لن تزول حتى أصرخ في وجوههم بما يفيض في نفسي...

مرت أيام وليالي وأنا في زنزانتي أنتظر الترحيل إلى المعتقل أو إلى مقر الجهاز أو جولة أخرى في دائرة التعذيب.. وبعد أكثر من عشرة أيام فتح الباب في الساعة الواحدة ليلًا ودخل الحارس وهو يضحك -ربما للمرة الأولى- وقال: مبروك يا شيخ خالد.. هات حاجتك عشان هتروح.. وزعت أشيائي على المساجين الجنائيين وخرجت فوجدت الضابط ياسين يقول لي: أنت مكنش ليك خروج وصدر ليك جواب اعتقال.. بس ربنا بيحبك في اللحظة الأخيرة كل حاجة اتغيرت... ثم أكمل: أنت مروَّح وراجع لنا تاني الريس أفرج عن العيال المسيحيين اللي اشتبكوا معانا في العمرانية ومش هينفع

نعتقلك دلوقتي بعد ما خرجناهم..بس وحياة أمي لترجع تاني.. لم أرد عليه سوى بكلمة واحدة «رحمة الله واسعة».

هز رأسه وأمر الحارس أن يوقف لي سيارة تقلني للبيت نظرًا لحالاتي الصحية وحين وضعت قدمي في الشارع للمرة الأولى منذ أيام طويلة نظرت إلى السماء «سبحانك.. ما عرفت منك إلا الجميل».

(المصدر: المرصد الإسلامي لمقاومة التنصير)

obeikandi.com

ليلة أول أمس لم أستطع النوم...
مبارك في طرة... يالله

تذكرت ليلة ١ مارس عام ٢٠٠٧ حين اعتقلت بعد شكوى كيدية من أحد القساوسة قدمها مباشرة لرئاسة الجمهورية بسبب نشاطي في مقاومة التنصير وقتها.

بعد أقل من ٢٤ ساعة فقط من تقديم الشكوى تم اعتقالي أنا وصديق عمري حسام أبو البخاري والأستاذ علي الريس وعدد من أعلام مقاومة التنصير وقتها.

ظللنا شهر كامل في سلخانات أمن الدولة ويوم ١ مارس وضعت الكلابشات في يدي وتم اقتيادي وحيدًا لسجن طرة.

على بوابة السجن خلعت الجينز والهاف كول والكوتشي ولبست الخيش الأبيض... وكتب على ملفي جملة «إيداع بمعرفة الجهاز» علمت فيما بعد أن المقصود بالجهاز هو جهاز أمن الدولة وأن أي تعامل معي يتم بتعليمات من الجهاز وبأوامر مباشرة من الضابط أحمد شوقي ضابط أمن الدولة بالسجن فقط.

والله كان يقترب مني المخبرين ويسألوني همسًا: أنت عملت إيه؟

وعندما كنت أجيبهم إني ناظرت أحد القساوسة في معرض الكتاب وأفحمته... كانوا ينظرون إليَّ بعين الشك.. فالإجراءات الأمنية المتبعة معي كانت صارمة وقاسية لدرجة أن ضباط السجن كانوا يتعجبون منها، فعلى سبيل المثال تم إيداعي زنزانة انفرادية متر ونص في ٢ متر في ممر مفصول عن باقي الزنانين الأخرى بباب حديدي مصمت، وهذا الممر مغلق بثلاث أبواب من الجهة الأخرى.. كما تم إخلاء جميع الزنازين الموجودة بالممر بحيث أكون وحيدًا تمامًا.

ممنوع خروجي من الزنزانة تمامًا بأي حال.. ظل باب الزنزانة مغلق عليّ قرابة ثلاثة أشهر لا أرى فيها وجه إنسان أو أسمع صوته سوى الشاويش وهو يناولني من شباك الباب صحن من الفول وبعض الأرغفة كل صباح...

وحين وردت إشارة من جهاز أمن الدولة بإخضاعي للفحص الطبي وعلى عكس كل المسجونيين كان طبيب السجن يضطر للانتظار حتى الساعة الثالثة عصرًا حيث تنتهي ساعة الفسحة لباقي المسجونين ويتم إغلاق الأبواب على الجميع.. ثم يحضر مخبر وشاويش إلى زنزانتي ويصطحبوني لطبيب السجن.

كان الطبيب في سجن الاستقبال طبيب مدني منتدب من مصلحة السجون ولم يكن طبيبًا عسكريًّا ولهذا كانت فيه بقية من آدمية.. كانت التعليمات صارمة للجميع ممنوع أن أترك بمفردي حتى أثناء توقيع الكشف عليَّ، كان الطبيب يحاول اقتناص أي غفلة من الحارس ليسألني عن سبب هذه الإجراءات الأمنية المشددة حولي.

مُنعت من زيارة أهلي ومنعت من رؤية الشمس ومنعت من سماع أو مشاهد أي مخلوق لمدة ثلاثة أشهر كنت أقضي وقتي بين المصحف والصلاة والنوم فقط.

وبعدها كان اللواء سمير سلام مدير ملصحة السجون الجديد وقتها يتفقد سجن الاستقبال، فجأة نظر إلى زنزانتي وقال «افتح هنا»والله العظيم فزع حين رآني بمفردي وقال: أنت لوحدك هنا؟ نعم يا افندم؟ قالي: من إمته؟ قلت: من ساعة ما جيت يعني قرابة ٣ شهور.. إنت جي في أيه؟ قلت: والله ما أعرف أنا لقيت قسيس بيتكلم مع شباب مسلمين في معرض الكتاب فتدخلت في الحوار ودار ما يشبه المناظرة بيني وبينه وبعدها قبض عليا وجابوني لهنا.

تقدم اللواء عمر الفرماوي -الذي كان يشغل وقتها منصب مدير مباحث مصلحة السجون قبل أن يتم تعينه مدير أمن ٦ أكتوبر ويصبح متهم رئيس في قضية مبارك

والعادلي -تقدم الفرماوي لكيس معلق بجوار باب الزنزانة فيه بعض الأدوية.. رفع شريط في وجوه الضابط وقال «ده بياخد دينترا» وهو دواء شهير للقلب.

انزعج سمير سلام وقال: «لا لا لا ده مينفعش يقعد لوحده» مال أحد الضباط على أذنه وهمس إليه «يا افندم ده تبع الجهاز» هز سمير سلام رأسه وقال: طب نقصك حاجة.. قلت بتهكم الحمد لله يا افندم وأنا هعوز أكتر من كده إيه.

أغلق باب الزنزانة وأنا أضحك من قلبي.. وفي اليوم التالي أسر لي الشاويش أن مدير المصلحة قال لضابط أمن الدولة: «يا أحمد بيه ده ممكن يموت وساعتها أنا اللي هتحاسب عنه والتقرير بيقول إنه شخصية معروفة.. لو عايز تعزله حطه لوحده بس يكون جنب ناس بحيث لو تعب ولا حصله حاجة الناس تنبهنا».

وقد كان فتم نقلي بعد يومين من عنبر «ج» لزنزانة انفرادية أخرى بعنبر «د» كان فيه الإخوة المتهمون بتفجيرات سيناء والأزهر وسمح لي بالخروج ساعة يوميًّا للتريض.. لكنهم رفضوا السماح لأهلي بزيارتي حتى أعلنت إضرابًا عن الطعام لعدة أيام وساءت حالتي، وتم استدعاء اللواء عمر الفرماوي مرة أخرى وضابط مجهول من أمن الدولة وتعهدوا بالسماح لأهلي بزيارتي مرتين في الشهر.

في قلب هذه المحنة رزقني الله منح عديدة... فأدركت قيمة القرآن وأثره في الإنسان وأدركت نعمة قيام الليل والصلة المباشرة بالله وأدركت قيمة الدعاء ومدى فاعليته.

كانت تمر عليّ لحظات في زنزانتي الانفرادية أتعجب وأسجد شكرًا لله على هذه السعة والطمأنينة التي أجدها في صدري رغم وضعي البائس.

تذكرت هذا وأنا أقرأ عن أول ليلة لمبارك في زنزانته الفارهة التي لا تبعد كثيرًا عن زنزانتي الانفرادية القديمة.

هـل كنت أتصور وأنا في لحظاتي العصيبة هناك والشـيطان يحـاول أن يزرع اليأس والخور والحزن في قلبي أن مبارك بعد خمس سنوات سيكون في زنزانة مجاورة!!

كما أني الآن لا أدري ما يحدثه الله تعالى بعد خمس سنوات من الآن.

لكني أدري جيدًا أن المسـتقبل للإسلام وأن الله تعالى قال: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾.

الخبـر: مصلحة السـجون رفضـت طلب من علاء وجمـال مبـارك بالانضمام إلى مبارك الأب في مستشفى السجن.

هل يذكرني هذا بشيء؟.... طبعًا.

موقف أبكي كلما تذكرته .. في اعتقالي الثاني الذي امتد لقرابة ٦ سـنوات حصلت كالعـادة على حكم قضائـي بالإفراج عني.. وكانت طريقة أمـن الدولة في الالتفاف على أحكام الإفراج أن يتم ترحيل المعتقل من السـجن إلى مقر أمن الدولة ثم يكتب الضابط مذكـرة بالإفراج عنه. ويظل المعتقل حبيسًـا في زنزانـة أمن الدولة وفي اليوم التالي يكتب الضابـط مذكـرة أخـرى يقول فيها أنه تـم الإفراج عن المذكـرة وبمراقبته تبـين أنه عاود نشاطه المتطرف مرة أخرى فتم القبض عليه وصدر بحقه قرار اعتقال جديد!!

هـذه المهزلـة كانـت تتقـرر كل شـهرين تقريبًـا ولـك أن تتخيـل أني قضيـت ٦ سـنوات معتقل بلا تهمة ولكـما حصلت على حكم قضائي بالافراج كل شـهرين تقريبًا تتكرر معي هذه المسرحية.

وفي أحـد هـذه المهازل قررت وزارة الداخلية ان يتم ترحيلنا لأحد اقسـام الشرطة القريبة من معتقل الفيوم الذي كنا فيه بسبب اجراءات أمنية في القاهرة.

تم ترحيلنا إلى قسم ابشواي بالفيوم وضعنا في زنزانة خاصة بنا.. وبعد قليل جاءت ترحيلة أخرى قادمة من معتقل الوادي الجديد كان يفترض بها أن تتوجه للجيزة... سياسة أمن الدولة تتعمد تشتيت أهالي المعتقلين وإرهاقهم فيتم اعتقال شخص من الفيوم -مثلًا- في معتقل بالوادي الجديد مع أن الفيوم بها معتقل كبير يسع قرابة عشرين ألف معتقل .. وهكذا في كل محافظة يغرب المعتقل عن أهله لأبعد معتقل حتى يرهقوا الأهل ويذلوهم.

كان في الترحيلة أخ اسمه رجب من محافظة الفيوم معتقل منذ ثلاث سنوات وغير مسموح لأهله بزيارته، جلس بجواري وظل يقص عليّ أصنافا من التعذيب الذي يمارس عليهم في معتقل الوادي الجديد حتى أنه قتل منهم قرابة السبعين شخص في حفلات التعذيب التي يستقبلون بها المعتقلين وتسمى «حفلة الاستقبال».

أحسست أن رجب لديه ألم عميق يسري عنه بالحديث معي ظللنا نتبادل الحديث وابتسامته الصافيه لا تخفي ملامحه الحزينة.. وحين سألته «أنت متزوج يا رجب؟» تلاشت عن وجهه الابتسامة وقال هامسًا: «أيوه الحمد لله».

أحسست بالحسرة تقتر من كلماته سألته عندك أولاد؟

هناك اختنق صوته بالبكاء واغرورقت عيناه.. حاول أن يتصنع البسمة وهو يقول عندي عائشة.. اطرق رأسه ووضع يده على عينه يسمح دمعة متمردة لم تستجيب لرغبته في الكتمان وهو يقول اعتقلت وعمرها سنة واحد وحتى الآن لم أرها.

أضاف وهو يبكي: أحد إخواننا في معتقل الوادي اعتقل وطفله في سنة عائشة وحين سمحوا لأهله بزيارته بعد خمس سنوات وقف الولد ليقول لأبيه الذي يراه للمرة الأولى «إزيك يا عمو».

كانت ملاحم رجب تمزق أوصالي أكثر من كلماته.. سألته إذا كنت من الفيوم وهنا الآن فيها فلماذا لا نتصل بأهلك ونخبرهم بمكانك فيأتون لزيارتك قال طلبت من الضابط فرفض وقال: ممنوع.

قلت: يا عم هو أحنا في قسم يعني عشرين جنية لمخبر ولا شاويش هيخلص الموضوع.. قمت بالفعل وتحدثت مع الشاويش وكالعادة جرت مفاوضات ومقايضات أخذ الشاويش بعدها رقم تلفون بيت رجب واتصل بهم ليأتوا لزيارته..

بعد ساعات قليلة وقف الشاويش على باب الزنزانة وقالي: يا شيخ خالد أهل رجب بره بس مش هينفع يدخلوا عشان المأمور قعد ظابط يشوف الدخول لزيارة المسجونين والقسم اتقلب من ساعة ما قالوا السياسيين جيين.

قلتله يا عم يقولوا دخلين لأي متهم وخلاص..قالي والله ما هينفع ده زوجته منقبة وهيعرف انها جايلكم وهيدخل معها لحد ما يشوف دخله لمين عرضت عليه أموال أخرى فرفض عرضت عليه فكرة أن تدخل ابنته مع أي أسرة داخلة لزيارة المحبوسين جنائيا ثم تاتي لزيارة والدها فوافق.

أخبرت رجب أن يتهيأ لرؤية طفلته... كانت المرة الاولى التي أرى إنسان يرتعش من السعادة...ت تعثر قدماه ويعجز عن الوقوف..عيناه تذرف الدمع صبابا..

قام رجب فأخرج ثيابا بيضاء نظيفة وتعطر ومشط شعره..وجلس بجوار الباب كأنه سيفتح الان ليخرج إلى الدنيا المحروم منها منذ سنوات.

كنت أقف على شباك الباب أرقب القادم ورجب يجلس تحت قدمي حين دخلت طفلة تشع براءة تتلفت حولها تبحث عن أبيها وخلفها الشاويش يحمل كيس الطعام الذي عجزت يدها الرقيق عن حمله.

كانـت الطفلـة تنادي: أبي.. أبي انتفـض رجب واقفًا ينظر لطفلتـه التي لم يرها منذ ثلاث سنوات.. ضغط على صدره بقوة لينطلق باسمها.. عاائشة بلا نحيب.

قلت للشـاويش افتح الباب بسرعـة... ففاجئني قائلًا بكل برود: مش هينفع والله يا شيخ خالد.

صرخت فيه أنت بتستهبل افتح الباب.. الراجل نفسه ياخد بنته في حضنه.. طأطا رأسه قائلًا: والله العظيم مفتاح الزنزانة دي في مكتب المأمور ذات نفسه.. ضربت رأسي في الحائط ونظرت إلى رجب الذي لم تترفع عيناه عن طفلته قلت للشـاويش طيب شـيل عائشة عشان تسلم على أبوها.

حملها الشـاويش على شـباك الباب وأصبحت وجهًا لوجه أمام أبيها لا يحول بينهم سوى هذه القضبان الغليظة.

ليتنـي مـا وقفت سـاعتها بجوارهـم.. ليتني أصلًا مـا عرضت عـلى الرجل رؤية ابنته... ليتني ما رأيت هذا الموقف ولا سـمعت هـذه الكلمات التي لا تزال تعتصر قلبي كلما تذكرتها.

بكل براءة الدنيا مدت عائشة يدها الصغيرة بين القضبان إلى لحية أبيها المبتلة وهي تقول: وحشتني أوي يا أبي.. أنا عرفاك كويس... وبحبك أوي.. ماما بتوريني صورتك كل يوم الصبح وتقولي أبي في سبيل الله.. عايزة أبوسك يا أبي.. أنا ببوس الصورة كل يوم الصبح.. بس عايزة أبوسك أنت.. كانت أناملها تسرح بنعومة في لحية أبيها المبللة بدمعه الحار والذي لم يسـتطع أن ينطق بكلمة واحدة... لم تفاجئني دموع الشـاويش فلو شاهد الشيطان هذا الموقف لبكى... إلا مبارك وزبانيته.

كانت عائشة ذات الأربع سنوات ترتجل لأبيها بكل الحب ما تستطيع قوله: أمي واقفة بره مش عارفة تدخل هي بتعيط.. بس هي إديتني الأكل وقالت لي أبوس إيديك وأسلم عليك... إحنا مستنينك يا أبي في البيت.. إنت مش هترجع يا أبي معانا.. طب هترجع إمته..

كنت أشعر بكلماتها البريئة تكوي أضلع والدها العاجز حتى عن احتضانها.. كان رجب يمسك بكف ابنته ويقبله.. حين قال الشاويش معلش يا شيخ كفاية كده والله العظيم لو بيدي كنت فتحت الباب ولا حتى روحته...

كانت عائشة ساكتة تنتظر من أبيها كلمة وهو الذي طال سكوته لعجزه عن الكلام.

فقلت لها: يا عائشة قولي لماما بابا كويس وبيسلم عليكم كلكم وإن شاء الله هيرجع قريب وهيوديك المدرسة كل يوم.

نطق رجب بكلمات متقطعة لطفلته: أنا بحبك أوي يا عيوشة... أنت نور عيني يا حبيبتي.. قاطعه الشاويش والله ما هينفع أكتر من كده يا شيخ ياله يا عائشة.. قالت عائشة بسرعة وكأنها تذكرت شيئًا هامًّا لأبيها.. ماما عملتلك الأكل اللي بتحبه وجبنالك عنب وحاجة ساقعة... وببراءة شديدة قالت: مع السلامة يا أبي..مع السلامة يا أبي ولوحت بيدها ثم اختفت.. انخلع قلبي من هذه الكلمة.. وضعت رأسي بين ركبتي وانهمرت في البكاء... كان الجميع يبكي.. يتألم.. يأن. يشكو إلى الله هذا الطغيان الوحشي.. يدعو على مبارك وأعوانه.. يطلب الرحمة من الله تعالى.

لم أستطع أن اقترب من رجب طول هذا اليوم.. وفي الصباح كانت قرارات الاعتقال الجديدة صدرت من أمن الدولة عاد رجب لمعتقل الوادي الجديد.. وعدت أنا لمعتقل الفيوم وظلت عائشة بيدها الناعمة وكلماتها البريئة تنغص عليّ حياتي وتسيل

دموعي حتى لحظة كتابتي لهذه القصة بعد سماعي خبر رفض طلب علاء وجمال الانضمام لمبارك في مستشفى السجن

اللهم فرق بينهم وبين ما يحبون..كما فرقوا بين الأب وابنته وبين الام ووالدها وبين الزوج وزوجته.

لانتصار على الجوع:

كانت الشمس تميل للغروب يوم ١١ مارس سنة ١٩٩٣... حين استقرت سيارة الترحيلات بنا أمام سجن «أبي زعبل» الشهير... كنا مجموعة من الشباب الصغير أكبرنا لا يتجاوز عامه العشرين وكنت أنا أصغرهم في الخامسة عشر من عمري..وكان أغلبنا مُرحل من زنازين فرق الأمن المركزي بالكيلو ١٠ طريق مصر اسكندرية الصحراوي والذي كانت أمن الدولة تتخذه كمقر للتحقيقات حين تزدحم مقراتها بالمعتقلين السياسيين كنت قد قضيت قربة الأسبوع في أحد مقرات أمن الدولة بالجيزة حيث التعذيب المتواصل..ثم رحلت لفرق الأمن حيث بدء التحقيق معي من جديد وأستمر قرابة الأسبوعين عرفت فيهما معنى الحبس الانفرادي للمرة الأولى في حياتي...

وقفنا على بوابة المعتقل بحالة مزرية للغاية..جروح تنزف ودماء تلطخ الملابس المهللة المتسخة وأقدام حافية وشعور هائشة وعيون ذابلة ظلت لأسابيع معصوبة لا ترى النور

قلّب ضابط مباحث السجن أوراقنا ثم اقترب مني وقال عندك كام سنة؟

فأجبت: ١٥.

فقال: بتدرس؟

أجبت: طالع تالتة إعدادي.

فقال: منين؟

أجبت: من إمبابة- الجيزة.

قال: طيب أقف على جنب.

ثم نادى لأحد المخبرين وقال له اجمع لي العساكر والشاويشية والمخبرين حالًا.

لم أفهم المقصود وشعرت بالخوف.. نظرت لإخواني الذين يقفون بعيدًا عني فرأيت القلق على وجوههم.. بعضهم حاول طمأنتي بابتسامة متكلفة زادت من قلقي وخوفي..

دقائق وكان الجميع يقف أمام مكتب الضابط الذي خرج على الفور وطلب مني أن أقترب.. اقتربت فوجدته يضع يديه على رأسي ويسحبني لأقف أمامه مباشرة ووجهي للعساكر والمخبرين.. كان بعضهم ينظر إليّ متحيرًا في أمري والبعض الآخر يتصنع الحدة والغضب ليخيفني لكني شعرت بيد الضابط فوق رأسي لا تنوي الشر.

بدء الضابط يتحدث «اسمعني كويس يا ابني أنت وهو.. اللي قدامكم ده ثم سألني» اسمك ايه.. قول اسمك بصوت عالي.. فنطقت باسمي فقال: اللي قدامكم ده معتقل سياسي.. بدء البعض يضحك.. فعقب الضابط.. احفظوا وجهه كويس لأنه ممكن يخرج مع الأهالي في الزيارة ومحدش هياخد باله.

كان الجميع بين ضاحك وساخر وقال أحد المخبرين: والله يا أشرف بيه حسني مبارك اتجنن هو خايف من العيال دي.. مط الضابط شفتيه ثم أعاد التأكيد على حفظ ملامحي ودخل مكتبه ولم يعقب على سخرية المخبريين.

تركونا لمدة نصف ساعة ثم عاد أحد المخبرين وبصحبته شاويش واصطحبنا لعنبر (أ) بسجن أبي زعبل الصناعي وفي الدور الثالث فتح زنزانة رقم ٣٥ التي كانت

فارغة تمامًا من أي شيء فأدخلنا وكتب أسمائنا على ورقة ولصقها على الباب من الخارج وانصرف.

انفجر إخواني في الضحك على ما حدث معي وظللنا نتبادل التعليقات الساخرة.. كانت الزنزانة مظلمة وبلا طعام أو فراش أو غطاء وبها أربع نوافذ عملاقة تصب السقيع على أرضيتها الخشنة.. توضئنا وصلينا وجلسنا للمرة الأولى منذ أسابيع -مرت علينا أثقل من السنين- بلا تحقيق ولا تعذيب ولا عصابة على العين.

كالعادة ابتدئنا بالتعارف ثم أخذ كل شخص يحكي لنا قصته ولماذا اعتقل وظللنا في حالة من السمر حتى منتصف الليل تقريبًا.. كنا منكمشين ومنزوين من البرد في ركن صغير من الزنزانة واقتنصنا النوم على هذه الحالة الوحد تلو الآخر..وحين وضعت رأسي على يدي لأنام كنت أفكر في ساعاتي الأولى في معتقلات مبارك الغير آدمية وضحكت وأنا أتذكر رسالة مكتوبة أرسلتها لي أمي في فرق الأمن عن طريق أحد جيراننا الذي كان مجندًا هناك.. كانت توصيني بالصبر وتذكرني بالفرج وتنصحني «كُلْ كويس..واتغطى كويس وحط البيجامة جوه البنطلون عشان متخدش برد وأنت نايم» ضحكت من قلبي فأنا الآن على البلاط بلا فراش ولا غطاء ولا بيجامة أصلًا، ولم أذق الطعام منذ يوم كامل.

في الصباح استطعنا رؤية الزنزانة بكل تفاصيلها لم تكن تختلف عما شاهدناه مساءً سوى في لون الحائط الأزرق الكئيب وبعض الكتابات المخطوطة على الجدران تحمل آيات الصبر وتوصي باليقين والثبات.

قمنا إلى الماء فمسحنا الزنزانة ولم نجد ما نغطي بها أرضيتها فجلسنا على ثيابنا ونحن نتشاور كيف ندير حياتنا في هذه العلبة الصخرية المغلقة.

مرت الساعات والجوع يزحف معها بقلقه وإزعاجه..انتصف النهار ونحن نقتل الوقت بالحديث والفكاهات..لكن الفكاهة لا تغني ولا تسمن من جوع..بدء الجوع يهد الأجساد ويسيطر على الحديث وعندما اصفرت الشمس واخذت طريقها للغروب خيم الصمت على الجميع فلا طاقة ذهنية أو جسدية للتبادل الاحاديث...وحين ارتفع أذان المغرب تذكرنا أننا لم نذق الطعام منذ يومين كاملين..

فتح الله على أحدنا فقال: «يا شباب عليك بالتسبيح فإنه طعام المؤمنين في آخر الزمان حين يحاصرهم الدجال بالجوع».

انهمك الكل في التسبيح والتحميد والتهليل حتى ارتخت الجفون ونامت العيون برحمة الله.

وفي صباح اليوم الثالث لم يكن من حديث سوى عن الطعام و تفسير تركنا بلا طعام لثلاثة ايام متواصلة...قال أحدهما ربما نسونا وقال الآخر ربما يخططون لقتلنا جوعا وقال ثالث يا أخوة لو مت قبلكم فأنا أحل لكم جسدي فكلوه كي لاتهلكوا فرد آخر مازحًا: لا يا عم أنا أموت أحسن وعلق ثاني طب احجزلي الكتف!

وبدءت دورة جديدة من التنكيت والتعليقات الساخرة في محاولة مستميتة لهزيمة الجوع القاسي.

وقبل انتصاف النهار وقف أحد المخبرين على نافذة باب الزنزانة وبدء يسأل عن أسمائنا.. اسرعنا نذكره أننا لم نحصل على أي طعام منذ ثلاثة أيام... بعضنا حول أن يجعل الأمر خطيرًا فزعم أن معنا مرضي قد يموتون بسبب هذا فأجاب المخبر بكل برود: طب ما أنا عارف أنكم مكلتوش من ثلاث أيام.. فقال أحدنا: طب وبعدين الأكل هيجي امته؟ فقال المخبر: لما الباشا يأمر.. فقلت: أيوه يعني أمته؟ فرد بنفس البرود: لما الباشا يجيله مزاج يدخلكم الأكل هتاكلوا، تركنا ومضى ونحن في حالة ذهول وغضب..

قال أحدنا: يا إخواني هو جي يقول الكلمتين دول عشان يهز معنوياتكم، مش ملاحظين أنه في الأول سأل عن الأسماء مع أنها مكتوبة على الباب بره وبعدين مشي من غير ما يأخد اسم أي حد.

قال آخر: استعينوا بالله واصبروا.. ياله نتغدي تسبيح بقه زي إمبارح.

انهمكنا في التسبيح والتكبير بعقل شارد.. أدركنا أن زنازين المعتقل لا تختلف عن زنازين أمن الدولة.. فكلاهما يهدف لكسر نفوسنا والسيطرة على إرادتنا.

كان أخطر ما في الجوع أنه يشعرك بضعفك وعوزك ويمتهن كرامتك.. أحيانًا كنت أوشكت على البكاء لشعوري بالمهانة والقهر لكني أتجلد رحمة بإخواني.

صلينا العصر وجلس كل منّا في مكانه لا يقوى على الحركة كانت الألسنة تلهث بالتسبيح والتكبير والعيون زائغة والوجوه واجمة.. لم يعد هناك ما يقال ولم يحاول أحد أن يقول شيئًا.

وحين اصفرّت شمس النهار وأيقنّا أن ليلة أخرى طويلة وقاسية ستمر علينا ونحن جوعى أذلاء.. فجاء وقف الشاويش على نافذة الباب ومد يده برغيفين صغيرين وصحن صغير من العدس وهو يقول «التعيين» يا شيخ.

هرول أحدنا فالتقط الرغيفين وصحن العدس ووضعها على الأرض ومد يديه للشاويش ينتظر باقي الطعام فصدمنا برد الشاويش الزاعق خلاص هو ده تعينكم.. فقلت له: احنا أربعتاشر واحد!! فرد بغلظة: عارف يا أخويا.. هو ده الأكل اللي البيه المأمور صرفه لكم!.

ساعتها فقط شعرت أن الجوع كان أرحم من هذه اللُعاعة التي قد تتصارعها الأيدي والنفوس، وضعت صحن العدس الصغير الذي لا يشبع طفلًا والرغيفين النحيفين في وسط الغرفة والجميع يختلس إليهما النظر على استحياء.

قال أحدنا «ياشباب والله ما فعلوا هذا إلا للتحريش بيننا كما يفعل الشيطان فإنهم يتصورون أننا سنتقاتل على هذا الطعام.. ولكننا بفضل الله أكبر من هذا ونبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمنا كيف نفعل في مثل هذا الموقف ففي غزوة الخندق كان الصحابة يربطون الأحجار على بطونهم لشدة الجوع ثم جاء صحابي ومعه طعام قليل يكفي أربعة أفراد فعرضه على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخذ النبي الخبر وكسره وأطعم منه الجيش بأكمله ببركة من الله ونحن سنفعل مثلما فعل النبي.. ثم قام إلى الرغيفين فقطعهما لقيمات صغيرة وهو يدعو الله أن يبارك في القليل حتى لا يشمت بنا الطغاة.

تحلقنا على صحن العدس ولقيمات الخبز وكنا نرى أن من آداب الطعام أن يبدأ أكبرنا سنًّا أولًا.. فأخذ أكبرنا لقمة وغمسها في العدس قائلًا: بسم الله ولكنه لم يضعها في فمه بل بحركة سريعة وضعها في فمي أنا وهو يبتسم قائلًا ستأكل أنت حتى أشبع أنا، ألا تذكر أبو بكر الصديق حين قال «شرب النبي حتى أرتويت».

ذهلت من الموقف وظلت اللقمة في فمي حائرة مثلي.. لم يمنعني الذهول من أن أبادله بلقمة أخرى... وبدأت على الفور أغرب وأعجب مائدة رأيتها في حياتي حتى الآن.

كل شخص يمسك لقمة ويضعها في فم أخيه.. لم يضع أحد لقمة في فمه قط رغم قسوة الجوع وقلة الزاد.. كانت البسمة والرضا والسعادة تذيب غصة اللقيمات الخشنة وتغطي على مرارتها.. شعرت بدمعة حارة تنساب على خدي بعدما حاولت كثيرًا حبسها فعجزت.. مد أحد إخواني يده فمسح دمعتي وقال: اصبر يا أخي الصغير.

فقلت والله لم يبكني سوى تذكري لقول الله تعالى ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ ربما للمرة الأولى أستشعر عظمة هذه الآية الكريمة.

بدأنا نقوم الواحد تلو الآخر ونحن نردد: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين.. حتى قام آخرنا وخلف ورائه بقايا طعام.

لا أدرى هل كانت معجزة أو كرامة من الله.. أو بركة حلت علينا.. أم هي حلاوة الإيثار حين يكون صادقًا خالصًا ولو على لقمة يابسة بعدس مر.. أم هي روح المجاهد التي تأبى أن يشمت بها الطغاة.

لم يكن شعور الشبع وحده هو المفرح بل كان الأهم هو شعور الانتصار على كيد الطغاة وتلك الألفة التي ربطت القلوب.

لم تمضي دقائق حتى لمحت أحد الضباط يقترب خلسة من نافذة الباب ليشاهدنا ونحن نتقاتل على طعامهم المر كما كان يظن ولم أكن لأتركه حيران وهو يرانا نضحك ونتسامر.. أسرعت إلى الباب وعندما اقتربت منه سألني بخبث: الأكل وصلكم يا شيخ؟ فأجبته بابتسامة أشد خبثًا.. آه وكلنا وشبعنا الحمد لله.. وبعد إذن حضرتك في شوية أكل عندنا زيادة لو ممكن نبعتهم لزنزانة تانية؟

فرد: بتهزر؟ فقلت: له لا والله العظيم...حتى بص حضرتك.

لم يجبب بل نظر إليّ لبرهة وعندما أدرك صدقي ومغزى ابتسامتي تمعض ورفع شفته العليا من الجهة اليسري وأدار ظهره وانصرف.. فكانت فرحتنا بغيظه وكمده أكثر من فرحتنا بانتصارنا على الجوع وسمونا فوق متاع الدنيا.. كل متاع الدنيا... وساعتها فقط أدركت أن مبارك كان محقًّا في خوفه من شباب الإسلام حتى لو كانوا صغارًا.

(من صفحات التاريخ..مذكرات خالد حربي في معتقلات مبارك)

إفطار على وجبة الموت

عكس الدنيا جميعًا كان رمضان لنا في معتقلات مبارك شهر تجرع الآلام واجترار الأحزان حيث يتذكر الجميع اجتماع أسرته التي حرم منها على مائدة الإفطار ومرافقة الأصحاب للمساجد وأحاديث السمر في لياليه العطرة وفي المقابل كان شعور الفقدان والوحشة يملأ حياة الأهل وينغص عليهم فرحتهم بالشهر الكريم.

كانت أمي مثلًا ترتدي السواد في رمضان وتضع مائدة الإفطار ثم تجلس باكية عليها حتى تقوم بلا طعام ويخبرني أبي أنها لم تصنع لهم أي صنف من الأطعمة التي أحبها طول فترة اعتقالي التي دامت لست سنوات. وكان هذا حال الآلاف من الأسر المنكوبة.

لكن أصعب ما في رمضان علينا هو ذلك المصحف المحرمون منه.. ففي شهر القرآن كنا نتذكر القرآن عن طريق الحفظ فحسب حيث يجلس كل من يحفظ شيئًا إلى أخ له لا يحفظه ليقوم بتلقينه وتحفيظه.

وكانت معاناتنا مع الشهر الكريم تبدء من قبل قدومه بساعات حين نظل في معاناة لنعرف متى نبدء الصوم فقد كان ممنوعًا على الحراس أن يخبرونا بأي تاريخ أو حدث.

كنا نتحايل على الحراس لنعرف متى يبدء الشهر خاصة في المعتقلات المتطرفة مثل معتقل الوادي الجديد ولا زلت أذكر حين أخذتني الشجاعة فقلت لأحد الحراس حين وجدته يقف وحيدًا أمام الزنزانة: يا شاويش شكلك منور من الصيام وصلاة التراويح!!

فهز رأسه قائلًا بخبث وهو يدرك قصدي: هو أنا لحقت ده هما يومين بس اللي صمناهم!!.. وكانت هذه إشارة إن حساباتنا خاطئة وأن رمضان قد بدء منذ يومين وأما

في المعتقلات القريبة من العمران كنا نحدد الشهر الكريم من خلال قرآن المغرب الذي تذيعه بعض المساجد القريبة نسبيًّا من المعتقل.

وما زالت أذكر أحد المجرمين واسمه «أحمد مصطفى حجاب» وهو ضابط بمعتقل دمنهور كان لا يحلو له تجريد المعتلقين من ثيابهم وصعقهم بالكهرباء في الأماكن الحساسة وتمزيق أجسادهم بالكرباج إلا في شهر رمضان حتى إننا كان نتهكم فنقول: لو أحمد حجاب ضربنا بُكرة الصبح يبقه إحنا في رمضان... علينا وعليكم بخير يا جماعة!!

ولم يكن العذاب ليقف عند هذا فكان الحراس يستغلون خمول الضباط في مكاتبهم المكيفة ليبدء فصل جديد من الإجرام.

في أحد الأيام اقترب من باب الزنزانة أحد المخبرين وقال: فين الشيخ أبو عمر (يقصدني)؟ قمت إلى نافذة الباب لأحدثه فقال لي: رمضان كريم يا شيخ.. أنا عارف والله إنكم محتاجين مصحف وإحنا في شهر كريم.. أنا جبتلكم مصحف عشان تقروا قرآن بس بالله عليكم تدعولي وتدعوا لولادي.

كنت أعرف هذا الصنف من البشر فالمخبرين دائمًا شر الخلق وأشد فحشًا وبطشًا وكنت أدرك أنه أتى ليبيع لنا نسخة من المصحف لحاجته للمال وليس رحمة بنا.

تفاوضنا على السعر الذي استقر عند خمسون جنيها بينما تباع مثل هذه النسخة بحوالي ثلاث جنيهات فقط أعطيته النقود وأعطاني المصحف.. ثم شعرت بريبة في قلبي من الأمر فطلبت من باقي المعتقلين تفكيك ملازم المصحف وربطها جميعًا بخيط ثم إخراجها من النافذه خارج الزنزانة وربط طرف الخيط بأحد القضبان حتى يمكننا سحب المصحف مرة أخرى إلى داخل الزنزانة.. انقسم الإخوة في الزنزانة إلى مؤيد ومعارض لكن في النهاية كان الحصول على نسخة من المصحف أمر لا يمكن المغامرة بفقده.

ولم تمضي سوى نصف ساعة حتى حدث ما توقعته.

ضابط أمن الدولة وضابط مباحث السجن مع قوة الاقتحام وعدد كبير من المخبرين والحراس يقتحمون الزنزانة للبحث عن المصحف!!

جردونا من ثيابنا وأبرحونا ضربًا وصعقًا بالكهرباء وقاموا بتفيش الزنزانة فلم يعثروا على المصحف.. تقدم الرائد محمد شعبان رئيس مباحث معتقل الفيوم وقتها وسأل أحد المخبرين أنت شفت المصحف مع مين؟

تقدم المخبر وكما توقعت كان هو نفسه الذي باع لنا المصحف قبل ربع ساعة.. وبالطبع أشار إليّ فكذبته ونفيت تمامًا هذه «التهمة» أمر الضابط بوضعي في التأديب لمدة أسبوع.

والتأديب عنبر مخصص لمعاقبة المساجين حيث يوضع المعتقل في زنزانة صغيرة جدًّا لا تتجاوز المتر ويمنع من دخول دورة المياة إلا مرتين يوميًّا فقط ويعامل بقسوة طول فترة بقاءه، وفي اليوم التالي حضر المخبر الذي باع لنا المصحف إلى التأديب وسألني بكل صفاقة: فين المصحف؟ هات المصحف وأنا أخلي الباشا يخرجك دلوقتي!!

قلت له: إنت غلطان إحنا معندناش مصاحف في الزنزانة.

فقال: طيب قولي أنت خبيته فين وأنا والله ما هاخده منكم.

فأعدت عليه نفس الإجابة: صدقني إحنا معندناش مصحف أصلًا عشان نخبيه.

خرج المخبر وظللت بعدها ستة أيام في التأديب ثم عدت لزنزانتي القديمة وهناك أخبرني إخواني أن مباحث السجن قامت بتفتيش الزنزانة ثلاث مرات لاحقًا بحثًا عن «المصحف» الذي كنا نخبئه طيلة النهار ونخرجه قبل غروب الشمس بعد إغلاق السجن تمامًا وذهاب الضباط والمخبرين لبيوتهم، لم أستطع أن أشي بالمخبر لأن هذا يعني اعترافًا

ضمنيًّا بامتلاكنا نسخة من المصحف الكريم ومصادرتها ولهذا كان علينا أن نحتمل العذاب والبلاء ونحن صامتون.

في رمضان أيضًا كان الطغاة يتفنون في تنغيص حياتنا وكان الطعام وسيلتهم المفضلة في هذا فكنا لا نأكل سوى الفول والعدس وكان الطعام يأتي على وجبتين الأولى وجبة الإفطار في الثامنة صباحًا والثانية وجبة الغداء في الثانية ظهرًا وفي رمضان كانت نفس الوجبات تأتي ودفعة واحدة في العاشرة صباحًا بسبب كسل العمال والحراس.

كان الطعام كثيرًا ما يفسد بسبب تركه أمام الزنازين لساعات طويلة ونكتفي بأكل الخبز وحده على الإفطار والسحور.

في أحد الليالي من شهر رمضان سنة ١٩٩٧ -وفي زنزانة رقم ١٣ بعنبر ٩ بمعتقل الفيوم- تناولنا العدس على الإفطار وصلينا التراويح ونمت بعدها مباشرة لأستيقظ على صراخ باقي المعتقلين بسبب الإسهال والألم الحاد الناتج عن تسمم العدس الذي تناولناه على الإفطار.

كان المشهد يذكرني بانتشار الكوليرا في العصور الوسطى.. الجميع يشكوا من حالة إسهال مزمن.. والمكان يضج بصرخات الألم.. دورة المياة الوحيدة لم تسعفنا فقمنا بعمل أربع دورات أخرى في أركان الزنزانة وسترناها بالبطاطين.. فجأة شعرت بسكين تمزق أحشائي.. أدركت أننا جميعًا أصبنا بحالة من التسمم.. أجبرني الألم أن أختف وراء أحد هذه البطاطين.. بعد أقل من ساعة بدت أصوات المعتقلين تعلوا من زنازين أخرى وبات مؤكدًا أنها حالة تسمم جماعي.

ظللنا نصرخ على الحراس من منتصف الليل حتى الصباح ولا مجيب كانت الزنازين تموج بالغائط بينما استلقى المعتقلون في أحد الجنبات لا يقوى أحدهم على الحراك ليغسل الزنزانة وقد اختنقنا من العرق والرائحة الكريهة فيها.

تحامل بعضنا على نفسه وحاول تنظيف الزنزانة لكنها عادت كما كانت خلال دقائق بسبب الإسهال المستمر لأكثر من عشرين معتقل داخلها.

أوشك الفجر على الأذان شعرنا وقتها بالموت المحتم فشربنا الماء ونوينا الصيام عسى أن نموت ونحن صائمون.

في الساعة التاسعة صباحًا فوجئنا بالرائد محمد شعبان رئيس مباحث السجن ومعه القوة الضاربة -وهي مجموعة من العساكر المسلحين بالعصي والدروع والصواعق الكهربائية- يقتحم الزنزانة ويقوم بسحب المعتقلين الذين لم يستطيعوا القيام من المرض ثم ينهال علينا ضربًا وجلدًا وصعقًا هو يسأل بغلظة: في حد عنده تسمم؟

كنا نعلم جميعًا أنه يسأل على سبيل التحدي وأن من يجيب سينال قسطًا خاصًّا ومميزًا من التعذيب، لكن خطورة الموقف دفعت أحد المعتلقين للصراخ في وجهه: يا باشا إحنا بنموت من امبارح وبص حضرتك على الزنزانة.

وكما توقعنا نال هذا المعتقل نصيبًا قاسيًا من التعذيب وأمره الضابط أن يقوم بغسل الزنزانة كلها بالماء قبل إعادتنا إليها وبعد نصف ساعة من الصعق والجلد للمرضى الصائمين أعادونا للزنزانة ومعنا أربع أقراص «فلاجيل» مطهر معوي، احترنا في هذه الأقراص الأربع كيف نعطيها لأكثر من عشرين معتقل كلهم مريض؟

في النهاية قررنا إذابة هذه الأقراص الأربع في زجاجة مياه ويشرب كل معتقل منها رشفة على الإفطار.. وقد كان وظللنا بعدها وحتى نهاية رمضان لا نتناول سوى الخبز وحده على الإفطار والسحور خوفًا من التسمم وكنا نحلي خبزنا بالنكات والطرائف حول جدوى الصعق في الكهرباء في علاج التسمم من الناحية الطبية ومدى إمكانية توفير صواعق كهربائية في الصيدليات بدلًا من الحقن والأدوية!!

تفتيـــــش

معتقل الفيوم الصحراوي عام ١٩٩٦ ...تقرير لأمن الدولة يرصد الحالة النفسية المرتفعة للمعتقلين وبناء على التقرير تصدر أمن الدولة قرارات صارمة كالتالي:

١- مصادرة جميع المصاحف من المعتقلين ومنع دخول أية مصاحف لهم -فضلًا عن الكتب الممنوعة مسبقًا بما فيها الكتب الدراسية.

٢- منع دخول أي ملابس أو أغطية للمعتقلين خلاف الخاصة بالسجون والمعروفة برداءتها الشديدة ومصادرة جميع الملابس الموجودة لديهم.

٣- اختصار وقت زيارة الأهل إلى أقل من خمس دقائق.

٤- مصادرة محتويات زيارات الأهل بما تحمله من أطعمة ومشروبات وملابس وخلافه باستثناء وجبة واحدة يتم إعطائها للمعتقل في كفيه بدون أية أكياس أو أطباق.

٥- مصادرة جميع المصابيح الكهربائية من الزنازين وإبقائها مظلمة تمامًا بدون مصدر للإضاءة.

بعد هذه الإجراءات بأسابيع قليلة شاويش يجد ورقة مكتوب فيها بعض الأشعار التي تحث على الصبر والثبات فيقدمها لضابط أمن الدولة.. الذي قام بإبلاغ إدارة الجهاز على الفور.

وفي صباح اليوم التالي.. تقوم مصلحة السجون وجهاز أمن الدولة بحملة تأديبية على معتقل الفيوم الذي يضم قرابة الـ٢٠ ألف معتقل إسلامي.

وقتها كنت حديث الاعتقال.. حين أيقظني أحد الإخوة وهو يقول: «تفتيش يا أخي..ربنا يستر».. نظرت حولي فوجدت الجميع في حالة من الارتباك والحركة السريعة... هذا يخفي ملزمة ورقية صغيرة تحتوي بعض أجزاء من القرآن الكريم.. والآخر يقوم بغسل الحائط من بعض الآيات التي كتبها على الحائط عن من يحفظها

حتى يستطيع هو حفظها... وثالث يخفي شفرة حلاقة مهربة نستخدمها جميعًا للنظافة الشخصية.. ورابع استقبل القبلة ورفع يديه للسماء يطلب الرحمة من الله تعالى.

لم أكن أدرك سر هذا القلق والذعر حتى فُتح باب العنبر الذي يضم ١٨ زنزانة... كان أول ما سمعته صوت كلاب تنبح بشراسة.. ثم بدء العساكر يطرقون أبواب الزنازين بعصيانهم بقوة لإحداث حالة من الرعب في قلوب المعتقلين المفزوعين أصلًا.

كان العساكر يسبون ويتوعدون ويهددون وكأنهم على أبواب معركة كبرى.

قام أحد الضباط بالمرور على جميع الزنازين لإلقاء التعليمات... كانت ثلاث كلمات يكررها أمام كل زنزانة:

١- الكل يخلع ملابسه تمامًا باستثناء «الشورت» الداخلي.

٢- كله يعصب عينيه جيدًا.

٣- كله يقف ووجهه للحائط في الجهة المقابلة للباب.

ثم فتحت أول زنزانة في العنبر سمعت الضابط يصرخ: كله يطلع بره..بره بره يا ابن كذا وكذا أنت وهو.. بعد هذه الجملة بثواني انفجرت صرخات جماعية رهيبة لم أسمعها من قبل.. ارتفعت صرخات المعتقلين فشقت عنان السماء واختلط معها نباح الكلاب وصوت الصواعق الكهربائية وكانت لسعات العصيّ أكبر من أن تختفي وسط هذا المزيج المرعب.. نظرت في وجوه إخواني في الزنزانة فوجدتها مرسومة بالرعب والفزع... الألسنة كلها تلهث بالدعاء.. كان قلبي يخفق بسرعة غريبة.. أحاول السيطرة على أعصابي فأفشل.. شعرت بألم حاد في معدتي.. وقفت أمام دورة المياه في طابور من خمسة معتقلين.. شعروا بسوء حالتي وصغر سني وقتها فأدخلوني.. في الحمام حاولت أن أسيطر على نفسي وأن أتنفس بعمق، أن أصم أذني عن هذه الأصوات القاتلة التي تزلزل قلوبنا منذ أكثر من نصف ساعة متواصلة.

اختفت الأصوات فجأة.. خمس دقائق.. ولد في قلبي أمل أن يكون الطغاة قد رحلوا... ثم بدء نفس الصوت الوحشي يصرخ من بعيد.. كله يطلع بره.. بره يا ولاد كذا.. وبدء الصراخ يعلو من جديد .. عرفت وقتها أن الصراخ الأول خاص بأهل الزنزانة الأولى فقط.. والثاني بأهل الزنزانة الثانية وهكذا... كل زنزانة تفتح بمفردها.. يخرج منها قرابة العشرين معتقل فتنهال العساكر والكلاب والضباط والمخبرين عليهم ضربًا وصعقًا وحرقًا بالسجائر ونهشًا من الكلاب لمدة تتراوح بين ٣٠ أو ٤٠ دقيقة كاملة ثم يسحبون ويلقون في الزنزانة التي لم يعد فيها شيء سوى الأرضية الخراسانية الغارقة في الزيت والصابون وبقايا الطعام والملابس.

ساعات طويلة وثقيلة مرت وأنا أقف على قدمي معصوب العينان ومجردًا من ملابسي ووجهي للحائط بانتظار دوري في السلخانة البشرية.. كان الهول أكبر من الشعور بالتعب... كان الهول أكبر من الشعور بالعري.. كان الهول أكبر من الشعور بالجوع والعطش.. كان الهول أكبر من الحياة نفسها...

وسبحان الله في وسط هذا الهول المستعر كنت أجد كفًا حانية تربت على كتفي قائلة ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

كان الجميع يعلم أني أصغرهم سنًّا.. وأحدثهم سجنًا وهذه أول مرة أتعرض فيها لمثل هذا الموقف الذي تكرر عليهم عشرات المرات من قبل.

بدء الصراخ يقترب شيئًا فشيئًا وأدركت أني على بعد ساعة واحدة فقط من الدخول في هذه التجربة القاسية المفزعة.

كشفت العصابة عن عيني وقلت لإخواني..كيف نستسلم لهذا؟.. أنتركهم يقتلوننا بهذه الوحشية دون أن نقاوم.. إذا كنا سنتعذب وسنجلد فلماذا لا نشتبك معهم فنضرب ونضرب؟!

أثارت هذه الكلمات استيائهم بشدة.. قال أحدهم: يا أخي لو فعلنا هذا سنقتل وسيقتل كل من في المعتقل.

وأردف آخر: يا أخي حاول الأخوة في سجن الوادي الجديد المقاومة فقتل منهم أكثر من سبعين أخ.

أحدهم حاول تخفف قلقي فقال: بص يا أخي أنت لما كنت في الابتدائية مفيش مرة كسلت تعمل الواجب ورحت تاني يوم المدرسة وأنت عارف إن الأستاذ هيضربك.. قلت له: حصلت كتير.. قال لي: اعتبر اللي هيحصل كمان شوية حاجة زي كده بس الفرق إننا هنضّرب عشان عملنا الواجب وعلقة تفوت ولا حد يموت... لم أكن أصدق أني أستطيع الضحك في مثل هذا الموقف لكني بالفعل ضحكت وضحك الناس حولي.. حقيقة كانت ضحكاتهم مريرة تشبه البكاء.. بدء الكل يبتسم في وجه الآخر ابتسامة متكلفة تحاول جاهدة إضفاء الطمأنينة وإخفاء الفزع الذي يغلي في الصدور.

انتقل الصراخ إلى الزنزانة المجاورة تمامًا لنا..كان أشد فزعًا ورعبًا وقسوة مما سمعناه من قبل... الكل انهمك في الدعاء والذكر.. خالجني شعور حزين أني سأخرج من الزنزانة ولن أعود إليها بل سأموت تحت وطأة التعذيب.. تذكرت أبي وأمي وطفرت دمعتي أني سأموت غريبًا حبيسًا وسأسلم لأبي جثة هامدة تدفن تحت جنح الليل وسط حراسة مشددة كما هي العادة ولن تستطيع أمي وقتها حتى أن تقبل جبين جثتي الباردة أو حتى تراها لأن العسكر سيمنعونها.

أغلق باب الزنزانة المجاور لنا وساد الصمت كثيفًا وثقيلًا على الجميع.. كنت أسمع دقات قلبي وأشعر به يقفز من صدري فزعًا.

سمعت قرع نعال الطغاة يقترب منا، وفجأة صرخ الصوت الوحشي في زنزانتنا.. شد الغماية على عنيك يا ابن كذا أنت وهو... كان السباب فاحشًا وقاسيًا يؤلمني أكثر من صراخ المعتقلين المعذبين رددت في نفسي بل ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾.

فتح باب الزنزانة وصرخ الصوت القاتل مرة أخرى بره يا ابن كذا بره.. بره..

وضع كل منا يده على كتف أخيه وخرجنا في طابور واحد، بمجرد اقترابي من باب الزنزانة هوت على ظهري عصى فشعرت أنها شقته نصفيين.. توقفت لبرهة مشلولًا من الألم فدفعني أحد الأخوة أمامه وقفنا جميعًا أمام الزنزانة وجهنا للحائط وظهورنا للجنود الذين هبطوا علينا ضربًا بالسياط والعصي.

كان الجنود يصرخون كسكارى في حلبة قتال، وكانت السياط تنهال على ظهورنا تزاحمها العصي والصواعق الكهربائية وأعقاب السجائر المشتعلة.. فقدت الشعور بالزمن والواقع وبكل شيء باستثناء الألم الرهيب.

كان العسكري يهوى على رأسي بعصى غليظة وهو يصرخ قائلًا: نظم.. لم أفهم المراد فظل يهوي بقسوة على ظهري وهو يصرخ بنفس الكلمة المبهمة.

اقترب جندي آخر مني وسألني: أنت لسه جديد؟

قلت: أيوة.

قال: طيب ارفع إيدك لفوق وأجري في المحل وأنت واقف.

كان هذه هي الحركة الأشهر في المعتقلات والتنظيم هو أن يقف المعتقل ووجهه للحائط وعيناه معصوبة يرفع يده لأعلى ويحرك قديمه بسرعة كأنه يجري بينما تهوى

الصواعق الكهربائية والعصى الخشبية والمطاطية وأعقاب السجائر ومخالب وأنياب الكلاب البوليسية على ظهره.. ولم يكن هذا هو كل العذاب.

كان هناك شاويش يمسك كلبا ضخمًا ويمر به علينا فردًا فردًا يسأل المعتقل: اسمك إيه؟ فيجيب المعتقل باسمه..فيرد الشاويش لأ... أنت اسمك «العاهرة» ف ع.. هاا.. اسمك ايه؟ ثم يغمز الكلب فيقفز على ظهر المعتقل بمخالبه الحادة ولا يتركه حتى ينطق بما يريد.

صعقت من الموقف لم أصدق أذني أن هذا يحدث.. صرخ أحد الشباب بجواري مباشرة والكلب ينهش ظهره.. اسمي محمد... اسمي محمد..

كان الشاويش يقسو عليه وهو يجيب: محمد إن شاء الله...محمد إن شاء الله.

كان يبكي بحرقة وهو ينطق باسمه ويقدم المشيئة استعانة بالله ورجاءً أن يثبت قلبه.

كان الشاويش ميت القلب يصرخ فيه كل مرة: اسمك «العاهرة» ل ع يا ابن الزانية... بكيت وأجهشت في البكاء لحال أخي... كان العسكر قد تحلقوا على هذا المعتقل بكل ما يملكون.. وهو يصرخ تحت أيديهم وأرجلهم وعصيهم وكلابهم.. محمد إن شاء الله.. محمد إن شاء الله.

وفجأة وجدتني تلقائيًا أصرخ بأعلى صوتي...يا رحمن يا رحمن....يا رحمن.

كنت أصرخ رغمًا عني.. فزع الجنود وأحسست بارتباك أحدهم وضع الصاعق الكهربائي في ظهري وهو يصرخ «اسكت يا ابن الكلب» وسمعت الضابط يزعق هات الحلاق لأولاد الكلب دول.. تقدم الشاويش بكلبه مني وقال: قول يا ابن كذا اسمك المومس فلانة - اسم ممثلة مشهورة بالعري والفاحشة -.

كان لساني يصرخ رغمًا عني يا رحمن يا رحمن..يا رحمن.

هـوت عـلى ظهرى عصيـان عدة وأيـدي شـتى ولم أسـتطع أن أوقف لسـاني عن الاستغاثة بالرحمن جَلَّوَعَلَا.

اقترب مني شخص وصفعني على ظهري بقوة وقال: اجلس.. جلست وأنا أشعر بمكينة الحلاقة تأكل شعري وتقتلعه من المنتصف وترسم صليبًا على رأسي.

مر الضابط خلفي بالصاعق الكهربائي وسـألني عندك كام سـنة.. قلت ١٨ سنة.. قال: مين اللي بيأذن للصلاة في العنبر؟

أجبت معرفش.. صعقني في ظهري بقوة ثم مضى إلى باقي المعتقلين.

غرقت بين رحى العذاب حتى أمسك جندي بيدي وقدمي وألقاني داخل الزنزانة ثم أغلق الباب.

رفعـت العصابـة عـن عيني ونظـرت فوجدت جميـع إخواني ملقـون على الأرض الخراسـانية ودمائهم تنزف وجروحهم تثعب.. حلقوا لحاهم جميعًا ورسموا صلبان على رؤوسهم.

كانـت الأجسـاد زرقـاء ودامية وعارية.. مبللـة بالعـرق والدماء وبقايا الشـعور المحلوقـة.. الجميع مطروحون عـلى الأرض بلا أدنى قدرة على الحراك.. لا يتحرك فيهم سـوى ألسـنتهم التي ما تزال تلهث بذكر الله... زحف أحد الإخوة إلى دورة المياه وجاء بجردل كبير مملوء بالمياه وألقاه علينا وقال مازحًا: «نعيمًا يا رجالة».

انفجر الجميع بالضحك الهستيري.. علق أحدهم قائلًا.. ألا قولي يا أخويا.. هو أنا كشـفت ولا لسـه؟ نظر آخر إليّ وقال: عشان تبقى تعمل الواجب بعد كده..ضحكنا كما لم نضحـك من قبل. وحين وضعت يدي على وجهي كنت أحاول أن أتغلب على دمعتي الساخنة لكنها أبت عليّ إلا أن تزرف رثاء على طلبة الجامعة وحفظة القرآن خيرة شباب مصر وما يحدث لهم في معتقلات مبارك لأنهم فقط قالوا «ربي الله».